شَرْحُ كِتَابِ الْإِيمَانِ

مَعَالِمُهُ، وَسُنَنُهُ، وَاسْتِكْمَالُهُ، وَدَرَجَاتُهُ

لِأَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ

(157 -224) رَحِمَهُ اللهُ

تَأْلِيفُ: أَبِي سَلَمَانَ

صابر بْنِ مُحَمَّدٍ الْدرينى

رحمه الله

الشيخ: بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارضَ اللهم عن أصحابه الطيبين الطاهرين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد، فهذا هو المجلس الأول من مجالس شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله تعالى ورضي عنه، وهذا هو الكتاب الأخير في هذه الدورة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها.

وهذا الإمام العلامة العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى، هو قرين الأئمة الأعلام، هو معاصر لجيل العظماء: الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من أئمة الإسلام، ولد سنه سبع وخمسين ومئة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومئتين، وبينه وبين الإمام أحمد سبع سنوات.

وكتاب الإيمان هذا هو من الكتب التي ألفت في القرون الثلاثة المفضلة؛ لذلك نهتم بهذا الكتاب؛ لإنه يؤصل مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك يرد على أهل البدع: من الغلو، والتكفير، وكذلك أهل الإرجاء، وغيرها من البدع التي تفارق أهل السنة والجماعة.

وهذا الإمام المبارك رحمه الله تعالى وغفر له، كان في هذا الكتاب لم يسبق له. كأنه اطلع على شبهات المرجئة ففندها، وجاء عليها شبهة شبهة، كذلك الخوارج أهل الغلو في التكفير، كأنه يتكلم عن عصرنا، فكان من المناسب شرح هذا الكتاب، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك.

بَابُ نَعْتِ الْإِيمَانِ فِي اسْتِكْمَالِهِ وَدَرَجَاتِهِ.

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ؛ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ مَعْرُوفٍ - أعْني: ابْنَ أَبِي نَصْرٍ -فِي دَارِهِ بِدِمِشْقَ، فِي صَفَرٍ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعمِئَةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْعَسْكَرِيُّ ‹صَاحِبُ [أَبِي] عُبَيْدٍ؛ القاسم ابن سَلَامٍ› هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَأَنَا أَسْمَعُ:

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْإِيمَانِ، وَاخْتِلَافِ الْأُمَّةِ فِي اسْتِكْمَالِهِ وَزِيَادَتِهِ وَنَقْصِهِ، وَتَذْكُرُ أَنَّكَ أحببتَ مَعْرِفَةَ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنْ ذَلِكَ، وَمَا الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ فارقهم فيه؟

الشيخ: إذن هذا الكتاب هو جواب عن مسائل في الإيمان، وهذه عادة أهل العلم، عندما يُسْألون عن هذه يفصلون فيها، لأن الخلل يقع دائمًا في الإجمال وعدم التفصيل، وهذا الذي نسير عليه إن شاء الله تبارك وتعالى.

نفصل في هذه المسألة حتى لا ندع شبهة، وحتى لا ندع قولًا لقائل يتقول على أهل السنة بما ليس فيهم، وينسب إليهم ما ليس عندهم، سواء كان من غلو أو إرجاء.

فَإِنَّ هَذَا رَحِمَكَ اللَّهُ خَطْبٌ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ السَّلَفُ فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتَابِعِيهَا وَمَن بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ عِلمُه مِنْ ذَلِكَ مَشْرُوحًا مُخَلَّصًا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

الشيخ: إذن كلمة السلف إذا أطلقت في كلام العلماء يراد بهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وهذا هو الحق.

وهذه هي الأصول الثلاثة المعصومة التي تكلمنا عنها كثيرًا، وهي: القرآن المحكم، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله γ، وفهم الصحابة φ.

وفهم الصحابة كما قلنا: مقدم على فهم غيرهم، وإجماع الصحابة مقدم على إجماع غيرهم، أما أن يقال في عصرنا الحاضر من أناس ينتسبون للعلم والسلف والسلفية وغير ذلك يقولون: القرآن والسنة بفهم سلف الأمة. ويقصدون بـ ‹السلف› كلٌّ على حسب مشربه ومذهبه، نقول هذا ليس بصحيح، ولا بد أن يحرر، فالسلف هنا يقصد بهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّهُ- أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْعِنَايَةِ بِالدِّينِ افْتَرَقُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ فِرْقَتَيْنِ.

الشيخ: وهذا هو الأصل، وهذا هي الرحمة، وهذا من الأدب وهذا من رحمة الشيخ بطلابه أن يدعوَ لهم، ومر معنا كثيرًا في كتاب مقدمة في التوحيد هذه الأمور، أن الشيخ يدعو دائمًا بالرحمة والتوفيق والعفو والمغفرة للطلاب، فهذا من النصح في الدين، يعلمك الشيخ ويدعو لك، هذا خيرٌ، يعلمك ويدعو لك، وهذا من الأدب، كذلك من آداب طالب العلم أن يسمع وينصت لهذه النصائح.

فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا :الْإِيمَانُ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ بِالْقُلُوبِ، وَشَهَادَةِ الْأَلْسِنَةِ وَعَمَلِ الْجَوَارِحِ.

الشيخ: إذن ‹افترقوا› فرقٌ بين الافتراق والاختلاف، فقال: ‹افترقوا›، إذن هم فارقوا أهل السنة والجماعة، وقلنا: إن أهل السنة والجماعة يختلفون ولا يفترقون، أما أهل البدع فيختلفون ويفترقون.

وما سُميت الفرقة فرقة إلا لِأنها فارقت أهل السنة في أصل من أصول أهل السنة والجماعة.

وَقَالَتِ الفرقةُ الْأُخْرَى بَلِ الْإيمَانُ بِالْقُلُوبِ وَالْأَلْسِنَةِ.

الشيخ: إذن الفرقة هم أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة.

فَأَمَّا الأعمالُ فَإِنَّمَا هِيَ تَقْوَى وَبِرٌّ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ.

الشيخ: هذه الفرقة الثانية، «وقالت الفرقة الأخرى» يقصد بها: المرجئة، وما تفرع عنهم من الأشاعرة، ومن وافقهم في إخراج الأعمال من مسمى الإيمان، وتكلمنا قبل ذلك وقلنا: إن الإيمان عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد، وقول، وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والأعمال من الإيمان وداخلة فيه، تدخل في الأصل والواجب والمستحب، ومنزلة الأعمال في الإيمان هي ركن في مسمى الإيمان، ليست هي كمال، كما يقول أهل الإرجاء، وليست هي شرط صحة، كما يقول أهل الغلو في التكفير.

وَإِنَّا نَظَرْنَا فِي اخْتِلَافِ الطَّائِفَتَيْنِ، فَوَجَدْنَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ يُصَدِّقَانِ الطَّائِفَةَ الَّتِي جَعَلَتِ الْإِيمَانَ بِالنِّيَّةِ وَالْقَوْلِ والعملِ جَمِيعًا وَيَنْفِيَانِ مَا قَالَتِ الأخرى.

وَالْأَصْلُ الَّذِي هُوَ حجّتُنا فِي ذَلِكَ: اتِّبَاعُ مَا نَطَقَ بِهِ القرآنُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ عُلُوًّا كَبِيرًا، قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وَإِنَّا رَدَدْنَا الأمرَ إِلَى مَا ابْتَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَسُولَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، فوجدناه قد جعلَ بدء الْإِيمَانِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللَّهِ γ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ γ بِمَكَّةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ عَشْرَ سِنِينَ، أَوْ بِضْعَ عَشَرَ سَنَةً يَدْعُو إِلَى هَذِهِ الشَّهَادَةِ خَاصَّةً، وَلَيْسَ الْإِيمَانُ الْمُفْتَرَضُ عَلَى الْعِبَادِ يَوْمَئِذٍ سِوَاهَا، فَمَنْ أَجَابَ إِلَيْهَا كَانَ مُؤْمِنًا، لَا يَلْزَمُهُ اسمٌ فِي الدِّينِ غَيْرُهُ، وَلَيْسَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ زكاةٌ، وَلَا صيامٌ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا التَّخْفِيفُ عَنِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ -فِيمَا يَرْوِيهِ الْعُلَمَاءُ- رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، ورِفقًا بِهِمْ.

الشيخ: هذا هو منهج التدرج في التشريع، الله سبحانه تعالى قال لنبيه γ: ﴿فاعلم انه لا إله إلا الله﴾، إذن هذا هو أصل التوحيد والرسالة، ثم بعد ذلك جلس النبي γ يربي الصحابة على هذا الأصل العظيم: معرفة الله سبحانه وتعالى، والعلم بالله سبحانه وتعالى، ومنهج التلقي عن الله سبحانه وتعالى، وتصديق خبر النبي γ جملة وعلى الغيب، ثم بعد ذلك أدخلهم دار الأرقم بن أبي الأرقم، يعلمهم معالم هذا الدين، والتكاليف التي سيتحملونها في هذا الطريق، وذكرنا مرارا أن دار الأرقم بن أبي الأرقم كانت هي المحضن الأول للدعوة، وهي كانت الملتقى للعُصبة المؤمنة، ولم تذكر كتب

التاريخ ولا السير حقيقة ما كان يدور في دار الأرقم، ماذا كان يربيهم؟ ماذا كان يقول لهم؟ ولكن علمنا ذلك عندما جاءت الفتن، وجاءت الردة، ولم يثبت في هذه الفتنة إلا من تربوا في دار الأرقم، هذه هي التربية النبوية، لم تأت التكاليف بعد ذلك إلا بعد الإسراء والمعراج والهجرة إلى المدينة، ولكن هذه السنوات كانوا يتعلمون ‹لا إله إلا الله›، ويتربون على معنى ‹لا إله إلا الله›، وعلى حقيقة هذا الدين، لذلك لا تتعجل في طلبك للعلم، اصبر، وافهم، وتدبر، واعمل بعلمك، واتجه إلى الله سبحانه وتعالى، هذا مهم جدًا لطالب العلم أن يعمل بهذا.

لِأَنَّهُمْ كَانُوا حَدِيثَ عهدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَجَفَائِهَا، وَلَوْ حَمَّلَهُمُ الْفَرَائِضَ كُلَّهَا مَعًا نَفَرَتْ مِنْهُ قُلُوبُهُمْ، وَثَقُلَتْ عَلَى أَبْدَانِهِمْ، فَجَعَلَ ذَلِكَ الإقرارَ بِالْأَلْسُنِ وَحْدَهَا هُوَ الْإِيمَانَ الْمُفْتَرَضَ عَلَى النَّاسِ يومئذٍ، فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ إِقَامَتَهُمْ بِمَكَّةَ كُلِّهَا، وَبِضْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا بِالْمَدِينَةِ وَبَعْدَ الْهِجْرَةِ. فَلَمَّا أَثَابَ الناسُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَحَسُنَتْ فِيهِ رَغْبَتُهُمْ، زَادَهُمُ اللَّهُ فِي إِيمَانِهِمْ أَنْ صرفَ الصلاةَ إلى الْكَعْبَةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ: ﴿قَدْ نرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]. ثُمَّ خَاطَبَهُمْ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ بِاسْمِ الْإِيمَانِ الْمُتَقَدِّمِ لَهُمْ.

الشيخ: ما هو الإيمان المتقدم؟ قول شهادة لا إله إلا الله، لم يطلب منهم، ولم يفرض عليهم إلا قول لا إله إلا الله، واعتقاد هذه الكلمة وما تضمنته، هذا الذي كان يُفرض عليهم، فلما هاجروا، وفرضت الصلاة، لو لم يصلوا لنقضُوا الإقرار الأول، وهو التلفظ بالشهادة، وكذلك لما جاءت الزكاة لو لم يزكوا لنقضوا الإقرار بالشهادة وكذلك بالصلاة، لماذا؟ لأن هذه أركان وفرائض فرضت عليهم، والتزموا بها، فإن لم ينقادوا لها نقضوا العهد الأول؛ لذلك لا يجوز أبدا ولا يُقَال في دين الله: إنه كلمة. لا يكفي في هذا أن يقول: لا إله إلا الله. ويكفي، ولا يأتي بهذه، ولو كان هذا الإقرار كافٍ بلا إله إلا الله ما كان لنزول الشرائع بعد ذلك فائدة، إذا كان الإيمان قد اكتمل وكمل في لا إله إلا الله، ما فائدة نزول الشرائع بعد ذلك؟ إذا كان هم يتحقق لهم الإيمان ويدخلون الجنة بالإقرار، فهذا يلزم أن هذه الشرائع والفرائض من أركان الإسلام، من أتى بها فهو مؤمن، ومن لم يأت بها متمكنا فهو كافر، لذلك أهل السنة والجماعة يقولون أن الاختلاف بين المرجئة المعاصرة، وبين أهل السنة والجماعة، هو في منزلة الأعمال، وحكم تاركها، ليس في تعريف الإيمان، فالمرجئة المعاصرة يعرفون الإيمان هكذا: اعتقاد وقول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والأعمال من الإيمان، وداخلة فيه. هذا هو تعريف المرجئة المعاصرة، فاذا قلت لهم: وما منزلة الأعمال في هذا الإيمان؟ الذى هو قول وعمل، قالوا: هي شرط كمال. إذن رجع هذا التعريف إلى الاعتقاد، وهذا لا يكون عند أهل السنة والجماعة، ثم إذا قلت لهم: وما حكم تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز؟ هذا شرط، القدرة والتمكن وعدم العجز؟ لأن هناك حالات يسقط فيها عمل الجوارح.

مثل الذين ماتوا قبل نزول الفرائض من الصحابة، ماتوا على الإيمان وعلى التوحيد، مع أنهم لم يركعوا لله ركعة، لماذا؟ لأنهم قاموا بما فرض الله عليهم في هذا الوقت، وبعضهم لم يرَ نصر الإسلام في المدينة، ولا لم ير انتشار الإسلام في الآفاق، ومع ذلك ماتوا قبل نزول الفرائض، كذلك الذي أسلم ولم يتمكن من العمل، كالأُصَيرم، أسلم، ثم قاتل فقتل، لم يركع لله ركعة ودخل الجنة، إذن هذه حالات سقوط العمل.

وكذلك في حالة العجز، هذه الحالة الثالثة من حالات سقوط العمل، في حالة العجز؛ لأن العجز مسقط، والقدرة مناط التكليف، فإذن هذه فرائض، المرجئة لم يفرقوا، لم يفرقوا بين ترك الفرائض وارتكاب المحارم، فجعلوهما سواء، لذلك لا يكفرون بالمكفرات، كذلك أهل الغلو في التكفير كفّروا بكل عمل، كفروا بترك كل عمل، فقالوا هذا لا يتجزّأ، من ترك عملًا واحدًا فقد كفر، لأنهم يجعلون الأعمال شرط صحة في مسمى الإيمان، وهذا خطأ، وهذه من العبارات المحدثة في دين الله سبحانه وتعالى، بل دائمًا نلتزم بالمصطلحات الشرعية، والألفاظ الشرعية التي أتت في الكتاب والسنة، وعمل بها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ثُمَّ خَاطَبَهُمْ -وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ- بِاسْمِ الْإِيمَانِ الْمُتَقَدِّمِ لَهُمْ، فِي كُلِّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ أَوْ نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَقَالَ فِي الْأَمْرِ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]، وَ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

وَقَالَ فِي النَّهْيِ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعافًا مُضاعَفَةً﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]. وَعَلَى هَذَا كُلُّ مخاطبةٍ كَانَتْ لَهُمْ فِيهَا أمرٌ أَوْ نهيٌ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُمْ بِهَذَا الِاسْمِ بِالْإِقْرَارِ وحدَه؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فرضٌ غَيْرُهُ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الشرائعُ بَعْدَ هَذَا وَجَبَتْ عَلَيْهِمْ وُجُوبُ الْأَوَّلِ سَوَاءً.

الشيخ: لا فرق، بين التلفظ بلا إله إلا الله، وبين باقي الشرائع التي فرضت عليهم لا فرق؛ لأن الترك هنا يكون تركًا مُكَفِّرًا؛ لأن أهل السنة والجماعة كما يقولون: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، كذلك يقولون في الكفر بالاعتقاد وبالقول وبالعمل، وبالترك الْمُكفر، وبالشك الْمُكفر.

لَا فَرْقَ بَيْنَهَا؛ لِأَنَّهَا جَمِيعًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِأَمْرِهِ، وَبِإِيجَابِهِ. فَلَوْ أَنَّهُمْ عِنْدَ تحويلِ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ أَبَوْا أَنْ يُصلُّوا إِلَيْهَا، وَتَمَسَّكُوا بِذَلِكَ الإيمانِ الَّذِي لَزِمَهُمُ اسمُه، وَالْقِبْلَةُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنْهُمْ شَيْئًا.

الشيخ: انتبه، قال: لو لم ينقادوا إلى الصلاة تجاه الكعبة، لم ينفعهم الإقرار الأول، لماذا؟ لأنهم أعرضوا وردوا، أمر الله سبحانه وتعالى، إذن يفهم من هذا أن الإيمان ليس بالكلمة، والإسلام ليس بالتلفظ، ولكنه قول وعمل، لا يجزئ أحدهما عن الآخر، لا يصح. هذا هو الأصل، وهذه القبلة، ليست في التوحيد والرسالة، ولكنها من مقتضيات التوحيد والرسالة، الانقياد لإمر الله سبحانه وتعالى.

وَلَكَانَ فِيهِ نقضٌ لِإِقْرَارِهِمْ.

الشيخ: انتبه، قال هنا ماذا؟ نقض. ولم يقل نقص. ما الفرق بينهما؟

قلنا قبل ذلك الفرق بين النقد بالضاد، والنقص بالصاد، أن النقض يزول الإيمان بزواله من أصله، كما قلنا أن الناقد سُمي ناقضًا لإنه يزيل الشيء من أساسه، كأنك تقول نقضت الجدار، أي أزلته من أساسه، فالناقض هو إزالة الشيء من أساسه، أما النقص فهو للتمام وللكمال، وهذا فرق، لم يتفطن له أهل الغلو في التكفير، فكفروا بالذنوب والمعاصي التي هي دون الشرك، انتبه لهذا جيدًا، فهنا من علمه وفقهه واطلاعه رحمه الله تعالى على أقوال القوم؛ قال نقض. هذا ينقض إقرارهم الأول، وهو قول: لا إله إلا الله.

لِأَنَّ الطَّاعَةَ الْأُولَى لَيْسَتْ بِأَحَقَّ بِاسْمِ الْإِيمَانِ مِنَ الطَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَلَمَّا أَجَابُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَى قَبُولِ الصَّلَاةِ كَإِجَابَتِهِمْ إِلَى الْإِقْرَارِ، صَارَا جَمِيعًا مَعًا هُمَا يَوْمَئِذٍ الْإِيمَانُ، إِذْ أُضِيفَتِ الصلاةُ إِلَى الإقرارِ.

الشيخ: إذاً هذا الإيمان يقع على الإقرار وعلى الصلاة.

وَالشَّهِيدُ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وَإِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ تُوُفُّوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ γ، وَهُمْ عَلَى الصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فسُئل رسولُ اللَّهِ γ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

فَأَيُّ شاهدٍ يُلتمس عَلَى أَنَّ الصلاةَ مِنَ الْإِيمَانِ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ؟ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ بُرهةً مِنْ دَهْرِهِمْ، فَلَمَّا أَنْ دَارُوا إِلَى الصَّلَاةِ مُسَارَعَةً، وَانْشَرَحَتْ لَهَا صدورهم، أَنْزَلَ اللَّهُ فَرْضَ الزَّكَاةِ فِي أَيْمَانِهِمْ إِلَى مَا قَبْلَهَا، فقال: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾ [البقرة: ٨٣ و١١٠]. وَقَالَ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها﴾ [التوبة: ١٠٣]، فَلَوْ أَنَّهُمْ مُمْتَنِعُونَ مِنَ الزَّكَاةِ عِنْدَ الْإِقْرَارِ، وَأَعْطُوهُ ذَلِكَ بِالْأَلْسِنَةِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ غيرَ أَنَّهُمْ مُمْتَنِعُونَ مِنَ الزَّكَاةِ كَانَ ذَلِكَ مُزِيلًا لِمَا قَبْلَهُ.

الشيخ: يعني: ناقضا، «مزيل» يعني: ناقضا.

وَنَاقِضًا لِلْإِقْرَارِ وَالصَّلَاةِ، كَمَا كان إباء إيتاء الصَّلَاةِ قَبْلَ ذَلِكَ نَاقِضًا لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِقْرَارِ.

الشيخ: يقول هنا إباء يعني أبَوا أن يصلوا، لو لم يصلوا لكان ذلك ناقضا لإقرارهم بلا إله إلا الله، وهذا فيه دليل وردّ على من يقول أن تارك الزكاة عمدًا لا يكفر، والفرق بين من يترك الزكاة كفرد من أفراد الأمة، وبين من يترك الزكاة كجماعة، أو طائفة ممتنعة بقتال، فالذي يمتنع عن الزكاة تؤخذ منه وشطرَ ماله، كما جاء عن النبي γ، فإذا كانت هناك طائفة ممتنعة بشوكة وامتنعت عن تطبيق شرع من شرع الله أو حد من حدود الله، هذه تقاتل، كما قاتل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مانعي الزكاة، مع أنه كان فيهم من لم يجحد الزكاة، ولكن هم قاتلوهم جميعًا قتالَ كفرٍ وردة، فكان

إجماعُ الصحابة على أنهم كفار، لماذا؟ لأنهم منعوا الزكاة، لم يسألوهم جحدوا أم لم يجحدوا، أنكروا أم لم ينكروا، فقط لمجرد المنع والقتال عليها ، وقاتلوهم قتال ردة، وتكلمنا قبل ذلك عن الفرق بين قتال أهل البغي، وقتال أهل الردة، فإذن الامتناع عن الزكاة هو نقض للإقرار بلا إله إلا الله وبالصلاة، الذين قاتلهم الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يصلون، ويقرؤون القرآن، ويقولون: لا إله إلا الله. ومع ذلك لم ينفعهم كل ذلك، لماذا؟ لأنهم خرجوا من الإسلام من غير هذا الباب، وتكلمنا قبل ذلك في أنواع الحكام، وقلنا أن الحاكم المؤمن الراشد، أو المسلم الجائر، أو الكافر المرتد، لا يدخل في الإسلام الكافر المرتد إلا من الباب الذي خرج منه، هو لم يمتنع عن قول لا إله إلا الله ولا عن الصلاة، وعند نفسه من أهل الإيمان والإسلام، إذن لا يثبت له عقد الإسلام إلا إذا دخل في الإسلام من الباب الذي خرج منه، فمن خرج من باب لا يثبت له عقد الإسلام إلا إذا دخل من الباب الذي خرج منه، هكذا كان منهج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في قتال أهل الردة، فلن تنفعهم لا إله إلا الله، وتكلمنا قبل ذلك في أحوال الناس عند التلفظ بلا إله إلا الله، فلا بد هذه من فرائض الإسلام، تفرق دائما بين الانقياد والقبول، وبين الكسل وبين العجز، وبين هذه الأمور.

وَالْمُصَدِّقُ لِهَذَا جِهَادُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ- بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى مَنْعِ الْعَرَبِ الزَّكَاةَ.

الشيخ: يعني: الدليل على ذلك، وهو جاء بالمهاجرين والأنصار حتى يقول هذا إجماع عند الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، هذا لا يخالف فيه أحد، لذلك يقول: «بالمهاجرين والأنصار».

كَجِهَادِ رَسُولِ اللَّهِ γ أَهْلَ الشِّرْكِ سَوَاءً.

الشيخ: انتبه، هنا لم يفرق بين من منع الزكاة وبين من قاتلهم النبي γ في أول الدعوة، لماذا؟ لأن هذا كفر وهذا كفر، ولكن هذا كفر أصلي وهذا كفر ردة، لذلك كان الصديق رضي الله عنه، كان يعاملهم بهذا، بل واشترط عليهم شروط أهل الردة، وهذا فيه رد على من يقول: إنهم كانوا كفارًا أصليين. نقول: هذا خطأ، هم كانوا أهل ردة، لأنهم دخلوا الإسلام، وقلنا المرتد هو الذي ثبت له عقد الإسلام بالتلفظ، ثم ارتد بعد ذلك، حتى ولو يوم ولو ساعة، ما بالك أن هؤلاء كانوا يقرؤون القرآن، ويصلون، إذن هذا قتال ردة، وليس كفرًا أصليًا.

لَا فَرْقَ بَيْنَهَا فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ، وَاغْتِنَامِ الْمَالِ، فَإِنَّمَا كَانُوا مَانِعِينَ لَهَا غَيْرَ جَاحِدِينَ بِهَا. ثُمَّ كَذَلِكَ كَانَتْ شرائعُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا، كُلَّمَا نَزَلَتْ شَرِيعَةٌ صَارَتْ مُضَافَةً إِلَى مَا قَبْلَهَا لَاحِقَةً بِهِ، وَيَشْمَلُهَا جَمِيعًا اسْمُ الْإِيمَانِ فَيُقَالُ لِأَهْلِهِ مُؤْمِنُونَ. وَهَذَا هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي غَلِطَ فِيهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَوْلِ.

الشيخ: من هم الذين ذهبوا إلى ذلك؟ المرجئة.

لَمَّا سَمِعُوا تَسْمِيَةَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ، أوجبوا لهم الإيمان كله بكماله، كَمَا غَلَطُوا فِي تَأْوِيلِ حَدِيثِ النَّبِيِّ γ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ... وَكَذَا

وَكَذَا». وَحِينَ سَأَلَهُ الَّذِي عَلَيْهِ رَقَبَةٌ مُؤْمِنَةٌ عَنْ عِتْقِ الْعَجَمِيَّةِ؟ فَأَمَرَ بِعِتْقِهَا، وَسَمَّاهَا مُؤْمِنَةً.

الشيخ: هذا الفرق بين الإسلام الحكمي والإسلام على الحقيقة، قلنا أن الإسلام الحكمي فائدته أنه يعصم الدم والمال في الدنيا، والإسلام على الحقيقية هو ينجي من الخلود في النار يوم القيامة، فهذا الإسلام الحكمي، كأهل النفاق يقولون لا إله إلا الله، ويظهرون الإسلام، ومع ذلك يثبت لهم عقد الإسلام في الدنيا، فيعصم به الدم والمال في الدنيا، وكذلك حديث جارية معاوية بن الحكم هذا فيه دليل على من يقول أن تكفير المشركين من أصل الدين، تكلمنا عليه قبل ذلك، وقلنا هذه شبهة لا دليل لهم فيها، ومنهج الاستدلال يرد عليهم في ذلك، ولكن لجهل هؤلاء الغلاة يتكلمون دائمًا في كلام العلماء، ولا يذكرون الدليل من القرآن ومن السنة، فلا بد أنت عندما تتكلم معهم أو يُورِدُون عليك شبهة قل لهم ما هو الدليل؟ إذا قالوا لك قال: الشيخ فلان. قل هذا: أقول لكم الدليل، هل اعتبرتم أقوال العلماء دليلًا يُحتج به؟ ما هو الدليل عندكم؟

فأنت تُعرِّفُهم الدليل الصالح للاستدلال، هو آية محكمة من كلام الله، وحديث صحيح ثابت عن رسول الله γ بفهم الصحابة، فأنت تلزمهم بهذا، هذا الدليل، من قال بقولكم؟ من فهم فهمكم؟ من هم سلفكم في هذا؟ إذن لا تجد عندهم جوابًا. لماذا؟ لأنهم أهل جهل، ويستغلون جهل بعض الناس، فلا بد أن تلزمهم بالدليل، ولا بد أن تعظم الدليل، هذا هو الأصل.

وَإِنَّمَا هَذَا عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ مِنْ دُخُولِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَمِنْ قَبُولِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ بِمَا نَزَلَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا كَانَ يَنْزِلُ مُتَفَرِّقًا كَنُزُولِ الْقُرْآنِ. وَالشَّاهِدُ لِمَا نَقُولُ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ، وسنةُ رَسُولِ اللَّهِ γ.

الشيخ: هذا هو الدليل دائما، لم يردك إلى أقوال الرجال، أو أقوال العلماء، مع احترامنا لأهل العلم.

ولكن أقوال علماء ليست دليلا يحتج بها، ولكن يستأنس بها، وكلام العلماء دائمًا يُوزَن بالميزان المعتبر، ما هو الميزان المعتبر؟ هو القرآن والسنة بفهم الصحابة، أَيُّ كلام أيًّا كان يصدر من بشر يُعرَض على هذا الميزان، إن وافق قبِلنَاه، وإن خالف رددناه، لذلك عندما تتأمل لكلام النبي γ في حديث الجارية، لم يطلب منها أنها تُكفِّر المشركين، لم يطلب منها أنها تقر أن تكفير المشركين من أصل الدين، إذن كيف يكون تكفير المشركين من أصل الدين ولم يطلبه النبي γ؟! إذا أنتم أتيتم بما لم يأت به النبي γ، وهذه بدعة محدثة، فأنتم أهل بدعة.

فمن الكتاب قوله: ﴿وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هَذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ مِثْلِ هَذَا. أَفَلَسْتَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى لم ينزّل عليهم الإيمان جملة، كما لم يُنَزِّلِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً؟ فَهَذِهِ الْحُجَّةُ مِنَ الْكِتَابِ، فَلَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مُكَمَّلًا بِذَلِكَ الْإِقْرَارِ مَا كَانَ لِلزِّيَادَةِ إِذًا مَعْنًى، وَلَا لِذِكْرِهَا مَوْضِعٌ.

الشيخ: إذن، أي: إذا كان الإيمان هو التصديق، فنزول الشرائع والفرائض ليس له معنًى، فهذه زائدة إذا كان عقد الإيمان وعقد الإسلام يثبت بتصديق القلب فقط، فلماذا هذه الشرائع وهذه الفرائض؟ وهذا عبث في دين الله لا يُقبل.

وَأَمَّا الْحُجَّةُ مِنَ السُّنَّةِ وَالْآثَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنْ زِيَادَاتِ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ بَعْضِهَا بَعْدَ بَعْضٍ، فَفِي حَدِيثٍ مِنْهَا أَرْبَعٌ، وَفِي آخَرَ خَمْسٌ، وَفِي الثَّالِثِ تِسْعٌ، وَفِي الرَّابِعِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

الشيخ: يعني: الإيمان أصل وشعب، كذلك الكفر أصل وشعب، ومن هذه الشعب ما يلحق بأصل الإيمان فيكفر من يترك هذا، ومنها ما لا يلحق، يلحق بالإيمان الواجب، أو الإيمان المستحب، فلا بد من التفريق في هذه المسألة بين مراتب الإيمان، تفرق دائما بين أصل الإيمان، والإيمان الواجب، والإيمان المستحب، ولا يكفُر الإنسان إلا إذا ترك أصل الإيمان، أما إذا قصر في الواجب فهو مثل أهل الكبائر، ومذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر الذين يموتون عليها هم تحت المشيئة، خلافًا لأهل الغلو في التكفير.

فَمِنَ الْأَرْبَعِ، حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ γ: أَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ قَدِمُوا عَلَيْهِ فقالوا يا رسول الله إِنَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَقَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضر، فَلَسْنَا نخلُص إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، فَقَالَ: «آمُرُكُمْ بأربع، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أربع، الْإِيمَانُ» ثُمَّ فَسَّرَهُ لَهُمْ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمس مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ والحنتم والنَّقير والْمُقَيَّر».

الشيخ: هذا الحديث جمع فيه النبي γ أركان الإيمان الثلاثة، القول والاعتقاد والعمل، تأمل في هذا الحديث تجدْ أن النبي γ جمع أركان الإيمان الثلاثة الاعتقاد والقول والعمل في هذا الحديث، ومنها ما هو أصل، ومنها ما هو واجب، ومنها ما هو دون ذلك.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ γ: بِذَلِكَ.

وَمِنَ الْخَمْسِ، حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّهُ سمعَ رسولَ اللَّهِ γ يَقُولُ: «بُنِيَ الإسلامُ عَلَى خمسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ».

الشيخ: هذه الخمس هي أركان الإسلام، هذه مجتمعة، هذه لا يجزئ بعضها عن بعض، هذه أركان الإسلام الظاهر، لأننا قلنا أن هناك إيمان باطن، وإيمان ظاهر،

فأركان الإيمان الستة هذا باطن، يدل عليه ويؤيده أركان الإسلام الخمسة الظاهر، فلا يكون أبدًا ولا يعقل أبدا أن هناك باطنا لا ظاهر له، كما تقول المرجئة، هذا لا يكون في دين الله سبحانه وتعالى.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّازِيُّ، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمر، عَنِ النَّبِيِّ γ: بذلك.

وَمِنَ التِّسْعِ، حَدِيثُ أَبِي هُريرة عَنِ النَّبِيِّ γ؛ أَنَّهُ قَالَ: «[إِنَّ] لِلْإِسْلَامِ صُوًى وَمَنَارًا كَمَنَارِ الطَّرِيقِ».

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «صُوًى»: هِيَ مَا غلُظَ وَارْتَفَعَ مِنَ الأرضِ، وَاحِدَتُهَا صوَّة مِنْهَا: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ولا تشرك به شَيْئًا، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى أَهْلِكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ إِذَا مَرَرْتَ بِهِمْ، فَمَنْ تَرَكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا [فَقَدْ تَرَكَ سَهْمًا مِنَ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَرَكَهُنَّ] فَقَدْ وَلَّى الْإِسْلَامَ ظَهْرَهُ».

الشيخ: إذا هذه هي أركان الإيمان والإسلام، وشعب الإيمان والإسلام.

قَالَ أَبُو عُبيد: حَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْعَطَّارُ عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ عن خالد بن معدان عن رَجُلٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ γ، فَظَنَّ الْجَاهِلُونَ بِوُجُوهِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهَا مُتَنَاقِضَةٌ؛ لِاخْتِلَافِ الْعَدَدِ مِنْهَا، وَهِيَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بَعِيدَةٌ عَلَى التَّنَاقُضِ، وَإِنَّمَا وُجُوهُهَا مَا أعلمتُك مِنْ نُزُولِ الْفَرَائِضِ بِالْإِيمَانِ مُتَفَرِّقًا، فَكُلَّمَا نَزَلَتْ وَاحِدَةٌ، أَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ γ عَدَدَهَا بِالْإِيمَانِ، ثُمَّ كُلَّمَا جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ مِنْهَا أُخْرَى زَادَهَا فِي الْعَدَدِ حَتَّى جَاوَزَ ذَلِكَ السَّبْعِينَ كَلِمَةً. كَذَلِكَ [فِي] الْحَدِيثِ الْمُثْبَتِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعَةٌ وَسَبْعُونَ جُزْءًا، أَفْضَلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ».

الشيخ: إذن هذا الحديث فيه بيان أصل الإيمان، الذي لا يكون المسلم مسلما إلا به، وكذلك بيان الإيمان المستحب، هذه شعبة، بينهما شعب، تلحق بالأصل أو تلحق بالإيمان الواجب، إذن الخلط بين مراتب الإيمان هذا إما يوقعك في الغلو في التكفير، أو يوقعك في شبهات المرجئة.

قَالَ أَبُو عُبيد: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: بهذا الحديث.

وَإِنْ كَانَ زَائِدًا فِي الْعَدَدِ فَلَيْسَ هُوَ بِخِلَافِ مَا قَبْلَهُ، وَإِنَّمَا تِلْكَ دَعَائِمُ وَأُصُولٌ، وَهَذِهِ فُرُوعُهَا زَائِدَاتٌ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ مِنْ غير تلك الدعائم.

الشيخ: يعني هنا العدد غير مراد في ذلك، وإنما هو البيان أن هذا الإيمان له أصل، وله شعب متعددة، والإسلام ككل منهج حياة، كما قلنا ليس فقط هو توحيد فقط، ولكن هو فيه حسن خلق، فيه معاملة الزوجة، معاملة الأهل، «خيركم خيركم لأهله»، وأنا خيركم لأهلي، هذا كله يدل على أن الإسلام هذا منهج حياة متكامل، لا يجوز لك أن تأخذ جانبًا من هذا الدين وتعمل به، وتهمل الجوانب الأخرى، لا بد هذا، هذا الذي

أتاكم به النبي γ الذي أمرك بالتوحيد، وحذرك من الشرك، كذلك أمرك بالإحسان إلى الناس، وكذلك أمرك بحسن الجوار، وحسن الخلق، هذا كله من الدين، فلا بد أن تعمل بهذا الدين كله.

فنرى -الله أَعْلَمُ- أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ آخِرُ مَا وَصَفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ γ الإيمان؛ لأن العدد إنما تناها بِهِ، وَبِهِ كَمُلَتْ خِصَالُهُ. وَالْمُصَدِّقُ لَهُ قَوْلُ اللَّهِ تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ: «أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَحْمَةُ اللَّهِ عليه: إنكم تقرأون آيَةً، لَوْ نَزَلَتْ فِينَا لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عيدًا، فَذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ عمرُ: إِنِّي لأعلمُ حَيْثُ أُنزلت، وَأَيَّ يَوْمٍ أُنْزِلَتْ، [أُنْزِلَتْ] بِعَرَفَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ γ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ». قَالَ سفيانٌ: وَأَشُكُّ أَقَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَمْ لَا.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ عن حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار قال: تلا ابنُ عباسٍ هَذِهِ الْآيَةَ، وَعِنْدَهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: لَوْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا لَاتَّخَذْنَا يَوْمَهَا عِيدًا! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي يَوْمِ عِيدٍ؛ يَوْمِ جُمُعَةٍ وَيَوْمِ عَرَفَةَ».

قَالَ أَبُو عُبيد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «نزلتْ عَلَيْهِ وَهُوَ واقفٌ بعرفةَ حِينَ اضْمَحَلَّ الشِّرْكُ، وَهُدِمَ مَنَارُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يَطُفْ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ». فَذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِكْمَالَ الدِّينِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ فِيمَا يُرْوَى قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ γ بِإِحْدَى وَثَمَانِينَ لَيْلَةً. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ كَذَلِكَ حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ:

فَلَوْ كَانَ الإيمانُ كَامِلًا بِالْإِقْرَارِ، ورسولُ اللَّهِ γ بِمَكَّةَ فِي أَوَّلِ النُّبُوَّةِ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ.

الشيخ: من هم هؤلاء الذين يعنيهم هنا؟ المرجئة

مَا كَانَ لِلْكَمَالِ مَعْنًى، وَكَيْفَ يُكَمِّلُ شَيْئًا قَدِ اسْتَوْعَبَهُ وَأَتَى عَلَى آخِرِهِ؟!

قَالَ [أَبُو] عُبَيْدٍ: فَإِنْ قَالَ لَكَ قائل: فما هذه الأجزاء الثلاثة وسبعون؟ قِيلَ لَهُ: لَمْ تُسَمَّ لَنَا مَجْمُوعَةً فَنُسَمِّيَهَا، غَيْرَ أَنَّ الْعِلْمَ يُحِيطُ أَنَّهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ، وَإِنْ لَمْ تُذْكَرْ لَنَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ، وَلَوْ تَفَقَّدْتَ الْآثَارَ لوجدت مُتَفَرِّقَةً فِيهَا، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ فِي إِمَاطَةِ الْأَذَى وَقَدْ جَعَلَهُ جُزْءًا مِنَ الْإِيمَانِ؟ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». وَفِي الثَّالِثِ: «الْغَيْرَةُ مِنَ الْإِيمَانِ». وَفِي الرَّابِعِ: «الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ». وَفِي الْخَامِسِ: «حُسْنُ الْعَهْدِ من الإيمان». فَكُلُّ هَذَا مِنْ فُرُوعِ الْإِيمَانِ. وَمِنْهُ حَدِيثُ عَمَّارٍ: «ثلاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الإقتارِ، والإنصافُ مِنْ نفسِك، وبذلُ السَّلَامِ عَلَى الْعالَمِ».

الشيخ: إذن هذه كلها ماذا؟ هذه كلها شعب، أهل الغلو في التكفير قالوا هذه أصول، يعني هذه تكون من أصل الإيمان، من ترك منها خصلة واحدة كفر وخرج من الإسلام، لماذا؟ لأنهم يقولون إن الإيمان جزء واحد، لا يتجزأ ولا يتبعض، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، لذلك هم يكفرون أهل الإسلام بالمعاصي، لماذا؟ لأنهم يعتبرونها أن هذه ركن في الإيمان، أصل في الإيمان، فهذا هو الخلل الذي وقع فيه الغلو، رد عليهم أهل

الإرجاء وقالوا: لا، يكفي في ذلك الإقرار، إذا قال: لا إله إلا الله. فهو مسلم وإن لم يأتي بأركان الإسلام، الإسلام الظاهر، رد عليهم المؤلف وقال: لا، لو كان هذا الإقرار ينفع، ما نزلت الشرائع بعد ذلك، وما كان لنزولها ولا فرضها فائدة، فهذا فرق بين الغلو والإرجاء.

ثُمَّ الْأَحَادِيثُ الْمَعْرُوفَةُ عِنْدَ ذِكْرِ كَمَالِ الْإِيمَانِ حِينَ قَالَ: «أَيُّ الْخَلْقِ أَعْظَمُ إِيمَانًا؟ فَقِيلَ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ قِيلَ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فقال بل قوم يأتون بعدكم». فَذَكَرَ صِفَتَهُمْ.[1]

وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُهُ: «إِنَّ أَكْمَلَ، أَوْ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «لَا يُؤْمِنُ الرَّجُلُ الْإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَدَعَ الْكَذِبَ فِي الْمِزَاحِ، وَالْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا». وَقَدْ رُوِيَ مِثْلُهُ أَوْ نَحْوُهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَابْنِ عُمَرَ. ثُمَّ مِنْ أَوْضَحِ ذَلِكَ وَأَبْيَنِهِ حَدِيثُ النَّبِيِّ γ في الشَّفَاعَةِ حِينَ قَالَ: «فَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وبُرة مِنْ إِيمَانٍ، وَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ». وَإِلَّا صُلِبَ. وَمِنْهُ حَدِيثُهُ فِي الْوَسْوَسَةِ حِينَ سُئِلَ عَنْهَا؟ فَقَالَ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ».

الشيخ: إذا معلوم أن النبي γ له شفاعة، وكذلك المسلم له شفاعة، والشهداء لهم شفاعة، كل ذلك له شفاعة، والشفاعة تجب بالرضا والإذن، ولكن تأمل هنا: النبي γ في حديث إنكار المنكر قال: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فبلسانه فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، وقلنا عند هذا الحديث إن هذا فيه رد على الخوارج أهل الغلو في التكفير الذين يشترطون تكفير الطواغيت، ويكفرون أهل الإسلام بذلك، لماذا تكفرونهم؟ قالوا: لأنهم لم يكفروا بالطاغوت. ومن أدراكم أنهم لم يكفروا بالطاغوت؟! النبي γ قال إن إنكار القلب إيمان النبي γ سمى إنكار القلب إيمانًا، وأنتم أيها الغلاة الجهلة تسمون هذا كفرًا، فإيهما نصدق أنتم أم كلام النبي γ؟ فكذلك يُعلَم من هذا أن هذا ليس شرطًا في أصل الإيمان، لا تكفير المشركين ولا إظهار العداوة، إظهار العداوة هذه من الواجب، وهي منوطة بالقدرة، والقدرة مناط التكليف، والعجز مسقط، هذه كلها ليس لأهل الغلو فيها شبه ولا حتى شبه دليل.

وَكَذَلِكَ حَدِيثُ عَلِيٍّ عليه السلام: «إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدَأُ لُمْظَةً فِي الْقَلْبِ، فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْإِيمَانُ عِظَمًا ازْدَادَ ذَلِكَ الْبَيَاضُ عِظَمًا».

الشيخ: هذا يقول حديث علي عليه السلام، وكذلك تراها كثيرًا في كتب أهل السنة، دعك من كتب الروافض، يقولون علي عليه السلام، هل يجوز أن يقول فلان عليه السلام؟ نقول نعم، ثبت هذا من حديث ابن أبي أوفى عن النبي γ قال: «الصلاة على أبي أوفى»، هذا وارد في السنة وهذا يجوز، ولكن الذي لا يجوز هو اختصاص علي عن باقي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لماذا أيها الروافض تقولون: علي عليه السلام، ولا تقولون عمر عليه السلام أبو بكر عليه السلام سلمان عليه السلام؟! فالأصل إطلاق ذلك على المسلمين، كما أطلقه النبي γ، تقول مثلا: محمد عليه السلام. تقول: خالد عليه السلام، أما تخص شخصا بهذا وثم تعينه ولا يجوز إطلاق هذا على

1 هذا حديث ضعيف لا يثبت

غيره هذه هي البدعة، وهذا الذي لا يجوز، إذا قلنا: علي عليه السلام نقول: عمر عليه السلام، أبو بكر عليه السلام. الأصل في ذلك الجواز، والمنع هو التخصيص، ولكن الروافض -لعنهم الله- دائمًا يأتون بالعجائب والغرائب فهم قوم لا دين لهم ولا عقل لهم.

فِي أَشْيَاءَ مِنْ هَذَا النَّحْوِ كثيرة يطول ذِكْرُهَا تَبَيَّنَ لَكَ التَّفَاضُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْقُلُوبِ والأعمال، وكلها يشد أَوْ أَكْثَرُهَا أَنَّ أَعْمَالَ الْبِرِّ مِنَ الْإِيمَانِ، فَكَيْفَ تُعَانَدُ هَذِهِ الْآثَارُ بِالْإِبْطَالِ وَالتَّكْذِيبِ؟! وَمِمَّا يُصَدِّقُ تَفَاضُلَهُ بِالْأَعْمَالِ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ - ٣].

الشيخ: إذن الإيمان هذا يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وكذلك يزيد بترك المعاصي، هذا الإيمان يزيد، لا يثبت على رتبة واحدة، والناس فيه يتفاضلون، لا كما يقول أهل الإرجاء أو من دخلت عليهم شبهة مرجئة الفقهاء يقولون: وأهله فيه سواء. لا، ليسوا فيه سواء، بل يتفاضلون، بل أسماء الله سبحانه وتعالى تتفاضل، الرحمة تتفاضل، والله سبحانه وتعالى يرحم، يرحم الكافر ويرحم المؤمن، وليست رحمة الكافر كرحمة المؤمن، إذن التفاضل في كل شيء.

فَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِلْإِيمَانِ حَقِيقَةً إِلَّا بِالْعَمَلِ على هذه الشروط، والذي يزعم أَنَّهُ بِالْقَوْلِ خَاصَّةً يَجْعَلُهُ مُؤْمِنًا حَقًّا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عَمَلٌ فَهُوَ مُعَانِدٌ لِكِتَابِ الله والسنة.

الشيخ: لماذا معاند، الذي يقول: أن الإيمان يثبت فقط بالقول أو الاعتقاد. هو معاند لنصوص القرآن والسنة المتواترة أن الإيمان قول وعمل، الإيمان قول وعمل، سواء هذا عمل ظاهر أو عمل باطن.

وَمِمَّا يُبَيِّنُ لَكَ تَفَاضُلَهُ فِي الْقَلْبِ قَوْلُهُ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]. أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ هَاهُنَا مَنْزِلًا دُونَ مَنْزِلٍ: ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]. كَذَلِكَ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

الشيخ: يعني أنهم مؤمنون وأثبت لهم الإيمان، ولكن ناداهم بذلك زيادةً على إيمانهم الأول.

فلولا أن هناك موضع مزيدًا، مَا كَانَ لِأَمْرِهِ بِالْإِيمَانِ مَعْنًى، ثُمَّ قَالَ أَيْضًا: ﴿الم، أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]. وَقَالَ: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذابِ اللهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وَقَالَ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]. أَفَلَسْتَ تَرَاهُ تبارك وتعالى، قَدِ امْتَحَنَهُمْ بِتَصْدِيقِ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ...

الشيخ: ما الفرق بين ‹يفعلون› و‹يعملون›؟ قال هنا: بالفعل. وقبل ذلك قال: بالعمل. ما الفرق بين ‹يفعلون› و‹يعملون›؟ ‹يفعلون› أي: الفعل الظاهر، أما ‹يعملون›: يشمل العمل الباطن والعمل الظاهر، يشمل أعمال القلب وأعمال الجوارح، فـ‹يعملون› أعم وأشمل من ‹يفعلون›.

وَلَمْ يَرْضَ مِنْهُمْ بِالْإِقْرَارِ دُونَ الْعَمَلِ، حَتَّى جَعَلَ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ؟ فَأَيُّ شَيْءٍ يُتَّبَعُ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ γ وَمِنْهَاجِ السَّلَفِ بَعْدَهُ الَّذِينَ هُمْ مَوْضِعُ الْقُدْوَةِ وَالْإِمَامَةِ؟!

الشيخ: إذن هنا اشترط الإمام رحمه الله تعالى الإتيان بالأصول الثلاثة المعصومة، وقال لا بد أن يلتزم بها من يدعي الإيمان، الأصول الثلاثة المعصومة نَادَى بها، وهي القرآن والسنة ومنهج السلف، وقلنا منهج السلف يُقصَد به على الإطلاق: الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

فَالْأَمْرُ الَّذِي عَلَيْهِ السُّنَّةُ عِنْدَنَا مَا نَصَّ عَلَيْهِ عُلَمَاؤُنَا مِمَّا اقْتَصَصْنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالنِّيَّةِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ جَمِيعًا، وَأَنَّهُ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، إِلَّا أَنَّ أَوَّلَهَا وأعلاها الشَّهَادَةُ بِاللِّسَانِ...

الشيخ: هذا أصل الإيمان

كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ γ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي جَعَلَهُ فِيهِ بِضْعَةً وَسَبْعِينَ جُزْءًا، فَإِذَا نَطَقَ بِهَا الْقَائِلُ، وَأَقَرَّ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

الشيخ: يعني التزم الشرائع بعد النطق بلا إله إلا الله

لَزِمَهُ اسْمُ الْإِيمَانِ بِالدُّخُولِ فِيهِ بِالِاسْتِكْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا عَلَى تَزْكِيَةِ النُّفُوسِ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ لِلَّهِ طَاعَةً وَتَقْوَى، ازْدَادَ بِهِ إِيمَانًا.

الشيخ: وهذا هو الأصل يا إخوان: أن دائما هناك ميزان للعبد، درجات الإيمان. كيف تعرف أنك ترتقي إلى الله سبحانه وتعالى في الطاعات؟ وكيف تعرف أنك تهبط؟ كيف تعرف هذا الميزان؟ نقول إذا وفقك الله سبحانه وتعالى للصلوات الخمس في جماعة، وقراءة وردك من القرآن اليومي، ثم قيام بركعتين في جوف الليل؛ فأنت على خير عظيم، هذه الثلاث المحافظة عليها يدلك على أنك من أهل الإيمان، وتزداد إيمانا؛ لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة لا يثبت، إما يزيد وإما ينقص، فالميزان المعتبر عندك كطالب علم أو كمسلم: أنك تحافظ على الصلوات الخمس في جماعة، هذا أول ميزان، الثاني أن يكون لك ورد يومي من كتاب الله سبحانه وتعالى، لا تنام عن هذا الورد أبدا، ولو صفحة واحدة، ولو وجه واحد، لا تنام أبدا عن كتاب الله، هذا القرآن ينفعك ويرفعك، وهل يصح أو هل يقبل أو يكون هناك طالب علم ليس له ورد يومي من كتاب الله سبحانه وتعالى؟! لا يكون هذا أبدا! ثم بعد ذلك هذا اللقاء لا تفوته أبدًا، تعلم أن الله سبحانه وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا نزولا يليق بعظمته وجلاله، هذا الموعد أبدا لا تضيعه، قم إلى الله سبحانه وتعالى منتصبا في جوف الليل في

السحر، وتطهر وتوضأ وتسوك وتعطر وانتصب واقفاً بين يدي الله سبحانه وتعالى، ركعتين في جوف الليل، هذا هو الوقود، الذي يعينك على عقبات النهار من فتن وشواغل وصوارف، لا بد أن تستعين بهذا، وإلا ما فائدة العلم؟! لا بد من العمل ولا بد أن تستشعر عظمة الله سبحانه وتعالى، كل منا عنده مصائب، عنده شواغل عنده مشاكل لمن يشكيها؟ لمن يحكيها؟ إلى الله سبحانه وتعالى الذي هو أعلم بقلبك، وهذا يزيدك إيمانًا، عندما تداوم على هذا اللقاء وتحرص عليه كل ليلة، هذا أنت في دنيا أخرى، في عالم آخر، الناس في واد وأنت في واد آخر، تنتظر هذا على أحر من الجمر، هذا اللقاء، هذا مهم جدا، هذا هو العمل، نحن نقول الإرجاء، وما هو الإرجاء؟ تأخير العمل، طيب هذا الموعد، هذا الموعد العظيم، كيف تفوته؟ كيف يضيع عليك؟ بماذا؟ لأنك لا تعرف قيمة هذه الدنيا، ولا تعلم أنها مزرعة لك في الآخرة، ولا تعلم أنك ربما تغتر بما أنت عليه من طاعة، ولا تدري بم يختم لك، لا تدري بم يختم لك. فالدنيا تتقلب بأهلها، والأعمال بالخواتيم، فهذه لا بد أن يحرص عليها طالب العلم، وهذا هو الميزان.

بَابُ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ:

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَا مؤمنٌ! فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَفَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: أَرْجُو، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَفَلَا وكلتَ الْأُولَى كَمَا وَكلْتَ الْأُخْرَى؟».

الشيخ: الاستثناء في الإيمان على ثلاثة أقوال، المنع من الاستثناء إن كان شَكًّا، إن كان يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. شكًّا فهذا ممنوع؛ لأن الشك كفر، ويكره إن كان على سبيل التزكية والقطع، ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾، هذا يكره، الضرب الثلث جائز إن لم يكن تزكية ولم يكن شكا، هذه خلاصة هذا الباب.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذْ لقينا رَكْبًا فَقُلْنَا: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ! فَقَالَ: أَوَلَا قَالُوا: إِنَّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟!»

الشيخ: يعني هذا على سبيل التزكية، فهو يعتب عليهم بهذا

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ :حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سلَمة بْنِ كُهَيل، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَا مُؤْمِنٌ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقُلْ: إِنِّي فِي الْجَنَّةِ! وَلَكِنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ».

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مُحلّ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: قَالَ لي إبراهيم: «إِذَا قِيلَ لَكَ أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ».

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «إِذَا قِيلَ لَكَ أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ».

قال أبو عُبيد: حدثنا عبد الرحمن، عن حماد بن زيد، عن يحيي بن عتيق، عن محمد بن سيرين قال: إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: ﴿آمَنّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ..﴾. الآية [البقرة:١٣٦].

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «قَالَ رجلٌ لِعَلْقَمَةَ أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ أَبُو عُبيد: وَلِهَذَا كَانَ يَأْخُذُ سُفْيَانُ وَمَنْ وَافَقَهُ الِاسْتِثْنَاءَ فِيهِ، وَإِنَّمَا كَرَاهَتُهُمْ عِنْدَنَا أَنْ يبتُّوا

الشيخ: أن يبتوا يعني: يقطعوا. الكراهة هنا للقطع والجزم

الشهادةَ بِالْإِيمَانِ مَخَافَةَ مَا أعلمتُكم فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ مِنَ التزكيةِ وَالِاسْتِكْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ

الشيخ: إذا هذه الأحاديث الأولى كانت في التزكية، والمنع هنا كان للقطع هذا هو الأَوْلَى.

وَأَمَّا عَلَى أَحْكَامِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ يُسَمُّونَ أَهْلَ الْمِلَّةِ جَمِيعًا مُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ وِلَايَتَهُمْ، وَذَبَائِحَهُمْ، وَشَهَادَاتِهِمْ، وَمُنَاكَحَتَهُمْ، وَجَمِيعَ سُنَّتِهِمْ: إِنَّمَا هِيَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَلِهَذَا كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ يَرَى الِاسْتِثْنَاءَ وَتَرْكَهُ جَمِيعًا وَاسِعَيْنِ.

الشيخ: هذا على التفصيل الذي ذكرناه، إما المنع وإما الجواز وإما الكراهة

قال أبو عبيد: حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي قال: من قال أنا مؤمن فحسن، ومن قال: أنا مؤمن إن شاء الله فحسن، لقول الله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ.

وَهَذَا عِنْدِي وَجْهُ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ، حين أتاه صاحب معاذ فقال: ألم تعلم أن الناس كانوا على عهد رسول الله γ ثلاثة أصناف: مؤمن ومنافق وكافر، فمن أيهم كنت؟ قال: من المؤمنين. إنما نراه أراد أني كنت من أهل هذا الدين لا من الآخرين.

الشيخ: يعني هذا على سبيل عدم الشك، أنا لا أشك أني على الإسلام لا أشك أني على الإيمان هذا لا شك عندي، أما إن كان على سبيل القطع فهذا مكروه، وإن كان على سبيل الجزم فهذا مكروه، وإن كان على سبيل التزكية أن تزكي نفسك أقول: لا، هذا أيضًا مكروه.

فأما الشهادة بها عند الله، فإنه كان عندنا أعلم بالله وأتقى له من أن يريده، فكيف يكون ذلك، والله يقول: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُو أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

وَالشَّاهِدُ: -عَلَى مَا نَظُنُّ-.

الشيخ: يعني: الدليل على ما نظن.

أَنَّهُ كان قبل هذا لا يقول: أَنَا مُؤْمِنٌ عَلَى تَزْكِيَةٍ وَلَا عَلَى غَيْرِهَا، وَلَا نَرَاهُ أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُهُ عَلَى قَائِلِهِ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ، إِنَّمَا كَانَ يَقُولُ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. لَا يَزِيدُ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ، وَهُو الَّذِي كَانَ أَخَذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ وطاووس وَابْنُ سِيرِينَ. ثُمَّ أَجَابَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَنْ قَالَ: «أَنَا مُؤْمِنٌ» فَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ مَحْفُوظًا عَنْهُ فَهُو عِنْدِي عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ، وقد رأيت يحيى ين سَعِيدٍ يُنْكِرُهُ وَيَطْعَنُ فِي إِسْنَادِهِ لِأَنَّ أَصْحَابَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى خِلَافِهِ.

الشيخ: لماذا كل هذه الأمور، يعني لماذا كل هذه الوجوه في الاستثناء؟ المنع والكراهة والجواز، لماذا؟ قلنا: هذا كما حصل دائمًا عند أهل الضلال، كان السلف دائمًا يقولون مثلا في مسألة القرآن، يقولون القرآن كلام الله. ولا يزيدون على هذا، فلما جاء أهل الضلال قالوا: هو كلام الله مخلوق. فرد عليهم أهل السنة من باب الرد على المخالف، ليس من باب الأحداث في دين الله ما ليس منه، ففرقٌ بين الأحداث وفرق بين الرد على أهل الأهواء، فقالوا: كلام الله ليس بمخلوق. فقالوا: هو نعم كلام الله ولكنه ليس بحرف وصوت. فرد عليهم أهل السنة فقالوا: كلام الله غير مخلوق وهو بحرف وصوت. إذن زادوا في هذه المسائل، من باب الرد على المخالف، وإلا لو سكت أهل السنة على بدع أهل الأهواء والافتراق؛ لذهبت السنة وضاعت، فلا بد أن يقوم لله قائمٌ بحقٍ يردُّ ويذب عن أهل السنة وعن حديث النبي γ، وعن مذهب أهل السنة والجماعة،

هذا هو من باب الرد ليس من باب الأحداث، حتى لما جاء ابنَ مبارك، وقال: لله حد؟ قال: نعم لله حد. يعني: هو له جهة، هو في السماء، في العلو، وكانوا ينكرون العلو، هذا كله من باب الرد على أهل الأهواء والبدع والافتراق.

وَكَذَلِكَ نَرَى مَذْهَبَ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَمَّوْنَ بِهَذَا الِاسْمِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، فَيَقُولُونَ نَحْنُ مُؤْمِنُونَ، مِنْهُمْ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، وَعَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ، مِثْلُ: عُمَر بْن ذَرٍّ، وَالصَّلْت بن بَهْرَامَ، وَمِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ، ومَن نَحَا نَحْوَهُمْ.

الشيخ: هؤلاء من؟ هؤلاء كلهم مرجئة الفقهاء. قالوا بقول مرجئة الفقهاء، وذكرنا ذلك في كتاب مسألة الإيمان، ولكن يعني إذا نظرت أنت لهؤلاء ونظرت إلى مرجئة العصر تجد البون واسعًا، هؤلاء كانوا أهل علم وعبادة وزهد، وكانوا يقولون بالوجوب، وجوب الطاعات وغير ذلك، أما المرجئة المعاصرة نسأل الله العافية.

إِنَّمَا هُو عِنْدَنَا مِنْهُمْ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِيمَانِ لَا عَلَى الِاسْتِكْمَالِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ ابْنِ سِيرِينَ وَطَاوُسٍ إِنَّمَا كَانَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا بِهِ أَصْلًا، وَكَانَ الْآخَرُونَ يَتَسَمَّوْنَ بِهِ. فَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ قَالَ كَإِيمَانِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ! فَمَعَاذَ اللَّهِ.

الشيخ: لأن هذا هو قول المرجئة في الإيمان، يقول: إيماني كإيمان جبريل لا فرق، لأنه واحد، لا يتبعض ويتجزأ، الإيمان واحد وأهله فيه سواء. إيمانك كإيمان جبريل! وان قلت فإيمانك كإيمان الرسول γ هكذا! وهذا ضلال وانحراف.

لَيْسَ هَذَا طَرِيقَ الْعُلَمَاءِ، وَقَدْ جَاءَتْ كراهيته مفسرة عن عِدَّةٍ مِنْهُمْ.

الشيخ: وطبعا هم ذكروا مسألة التفاضل يعني بل الملائكة والأنبياء وصالح البشر، هل الأنبياء وصالح البشر أفضل من الملائكة؟ أم الملائكة أفضل؟ هذه أولا مسألة من مسائل أهل الكلام، لا يُبنَى عليها كثير عمل، وطالب العلم المسائل التي لا يبنى عليها عمل لا يتكلم فيها، طالب العلم دائما يتكلم عن المسائل التي يُبنَى عليها عمل في واقع الناس.

(إجابة على سؤال سائل):

هذا محمد بن سيرين، وطاووس بن كيسان، ليسوا من مرجئة الفقهاء، لا يقولون بالتفاضل، لا يقولون أن أهله فيه سواء، هم فارقوا لأنهم كانوا معاصرين لمرجئة الفقهاء، فكانوا يفارقونهم في تعريف الإيمان، ويقولون أن الأعمال من الإيمان، وأن الناس يتفاضلون في الإيمان، فكانوا هؤلاء غير هؤلاء.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ -أَوْ حُدثتُ عَنْهُ- عَنْ جُويبر عَنِ الضَّحَّاكِ: أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَنَا عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عليهما السلام.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ الْمِصْرِيُّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عُمَرَ الْجُمَحِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، وَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ: إِنَّ رَجُلًا فِي مَجَالِسِكَ يَقُولُ: إِنَّ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جَبْرَائِيلَ! فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ قَدْ فُضِّلَ جِبْرِيلُ عليه السلام فِي الثَّنَاءِ

عَلَى مُحَمَّدٍ γ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ، مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩ - ٢١].

الشيخ: طبعا الصواب أن النبي أفضل من الملائكة، الصواب في هذه المسألة أن النبي أفضل من الملائكة، ولكن قلنا أن هذه المسائل لا يبنى عليها عمل؛ فلا ينشغل طلاب العلم بها.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حُدثنا عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ: أَنَّهُ رَأَى جَارِيَةً تُغَنِّي فَقَالَ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذِهِ عَلَى إِيمَانِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ فَقَدْ كَذَبَ».

الشيخ: يقول أن هذا لا يقوله عاقل، يعني لا يقول أن أهل الإيمان يستوون مع أهل المعاصي، من يعمل ومن لا يعمل هم سواء هذا ظلم يعني.

وَكَيْفَ يَسَعُ أَحَدًا أَنْ يُشَبِّهَ الْبَشَرَ بِالْمَلَائِكَةِ، وَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ أَشَدَّ الْعِتَابِ، وَأَوْعَدَهُمْ أَغْلَظَ الْوَعِيدِ، وَلَا يُعْلَمُ فَعَلَ بِالْمَلَائِكَةِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَقَالَ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلاّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيمًا، وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْوانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نارًا وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠]. وَقَالَ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]. وَقَالَ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. فَأَوْعَدَهُمُ النَّارَ فِي آيَةٍ، وَآذَنَهُمْ بِالْحَرْبِ فِي أُخْرَى، وَخَوَّفَهُمْ بِالْمَقْتِ فِي ثَالِثَةٍ، وَاسْتَبْطَأَهُمْ فِي رَابِعَةٍ، وَهُوَ فِي هَذَا كُلِّهِ يُسَمِّيهِمْ مُؤْمِنِينَ، فَمَا تَشَبُّهُ هَؤُلَاءِ مِنْ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ مَعَ مَكَانِهِمَا مِنَ اللَّهِ!؟ إِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنَ الِاجْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ والجهل بكتابه.

الشيخ: نعم لأن مسألة التفضيل والتسوية يا إخوان، لها أصل، إذا كانت تبنى على أصل أن الإيمان لا يتبعض ويتجزأ، وأهله فيه سواء؛ فهذه بدعة وهذه ضلالة، وإن كانوا يقولون بتفاضل الناس في أصل الإيمان وفي درجاته، فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ومن يقول بالتسوية فيه فهو هو الضلال وهو هو البدعة، لذلك رَدُّوا عليهم وذكروا مسألة التفضيل بين الملائكة وبين صالحي البشر، فهذا يدل على أن الإيمان يتفاضل، وليس أهله فيه سواء بل هم يتفاضلون.

بَابُ الزِّيَادَةِ فِي الْإِيمَانِ وَالِانْتِقَاصِ مِنْهُ:

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ لِرَجُلٍ: «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً يَعْنِي نذكر الله».

الشيخ: يعني نزداد إيمانا، عندما تذكر الله سبحانه وتعالى هذا علامة على زيادة الإيمان، وهذا دليل على أن الإيمان يزيد بالطاعات وترك المعاصي والمحرمات، وكذلك ينقص بارتكاب المعاصي والمحرمات وترك الطاعات، فترك الطاعات يُنقِص الإيمان، لأن الإيمان -كما قلنا- لا يثبت، وترك الطاعات يُنقِص الإيمان، هذا مهم جدًا.

وَبِهَذَا الْقَوْلِ كَانَ يَأْخُذُ سُفْيَانُ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، يَرَوْنَ أَعْمَالَ الْبِرِّ جَمِيعًا مِنَ الازْدِيَادِ فِي الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهَا كُلَّهَا عِنْدَهُمْ مِنْهُ، وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي خَمْسِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ مِنْهُ، قَوْلُهُ :﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيمانًا وَقالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وَقَوْلُهُ :﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَيَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمانًا﴾ [المدثر: ١]. وَقَوْلُهُ :﴿لِيَزْدادُوا إِيمانًا مَعَ إِيمانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. وَمَوْضِعَانِ آخَرَانِ قَدْ ذَكَرْنَاهُمَا فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ، فَاتَّبَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَتَأَوَّلُوهَا أَنَّ الزِّيَادَاتِ هِيَ الْأَعْمَالُ الزَّاكِيَةُ.

الشيخ: إذن أهل السنة يقولون أن الإيمان ينقص، ينقص حتى لا يبقى منه شيء، وأهل الإرجاء يقولون ينقص ويبقى أصله، ما هو الأصل عندهم؟ هو اعتقاد القلب، يقول لو تَرَك جميعَ الأعمال ولكن ما زال في القلب اعتقاد هذا مؤمن، وهذه أصل معركة بين أهل السنة وبين المرجئة، فأهل السنة يقولون الإيمان ينقص حتى لا يبقى منه شيء ‹يزول›، والإرجاء يقول: لا، يزول، ويبقى الأصل، الذي هو في القلب، اعتقاد القلب فقط، وهذا أصل المعركة بين أهل السنة والمرجئة المعاصرة، ليس في تعريف الإيمان، ولكن في منزلة الأعمال وحكم تاركها، من قال لك بالتعريف قل له: حكم تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن؟ ما منزلة أعمال الجوارح من الإيمان، بهذا يتضح لك أهو من أهل السنة أم من أهل الإرجاء.

وَأَمَّا الَّذِينَ رَأَوُا الْإِيمَانَ قَوْلًا وَلَا عَمَلَ

الشيخ: من هم؟ الذين قالوا هو في القلب تصديق، اعتبروا بتصديق قلبي فقط

فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا :أَنْ قَالُوا: أَصْلُ الْإِيمَانِ الْإِقْرَارُ بِجُمَلِ الْفَرَائِضِ، مِثْلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا، وَالزِّيَادَةُ بَعْدَ هَذِهِ الْجُمَلِ.

الشيخ: إذن قالوا ماذا؟ الإيمان هو الإقرار فقط، دون الإتيان بهذه الفرائض، فسوَّوا هنا بين ترك الفرائض وارتكاب المحارم جعلوهما سواء، وأهل السنة أنكروا عليهم هذه المسألة.

وَهُوَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِأَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ هِيَ خَمْسٌ، وَأَنَّ الظُّهْرَ هِيَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ، وَالْمَغْرِبَ ثَلَاثَةٌ، وَعَلَى هَذَا رَأَوْا سَائِرَ الْفَرَائِضِ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ قَالُوا: أَصْلُ الْإِيمَانِ الْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالزِّيَادَةُ تُمَكِّنُ مِنْ ذَلِكَ الْإِقْرَارِ. وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ قَالُوا الزِّيَادَةُ فِي الْإِيمَانِ الِازْدِيَادُ مِنَ الْيَقِينِ.

الشيخ: يعني الإيمان حاصل وموجود بهذه الزيادة، والزيادة هي الزيادة في اليقين، يعني: في الاعتقاد القلبي فقط، أما كون الزيادة تأتي بالأعمال: هذا لا، ليس عندهم.

وَالْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنْ قَالُوا إِنَّ الْإِيمَانَ لَا يَزْدَادُ أَبَدًا، وَلَكِنِ النَّاسُ يَزْدَادُونَ مِنْهُ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لَمْ أَجِدْ لَهَا مُصَدِّقًا فِي تَفْسِيرِ الْفُقَهَاءِ وَلَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، فَالتَّفْسِيرُ مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ مُعَاذٍ حِينَ قَالَ: اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً، فَيُتَوَهَّمُ عَلَى مِثْلِهِ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَعْرِفِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَمَبْلَغَ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا إِلَّا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ γ، وَقَدْ فَضَّلَهُ النَّبِيُّ γ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الْعِلْمِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ثُمَّ قَالَ: «يَتَقَدَّمُ الْعُلَمَاءُ بِرِتْوِهِ»؟! هَذَا لَا يَتَأَوَّلُهُ أَحَدٌ يَعْرِفُ مُعَاذًا. وَأَمَّا فِي اللُّغَةِ فَإِنَّا لَمْ نَجِدِ الْمَعْنَى فِيهِ يَحْتَمِلُ تَأْوِيلَهُمْ، وَذَلِكَ كَرَجُلٍ أَقَرَّ لَهُ رجلٌ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ لَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ بَيَّنَهَا فَقَالَ: مِائَةٌ مِنْهَا فِي جِهَةِ كَذَا، وَمِائَتَانِ فِي جِهَةِ كَذَا، حَتَّى اسْتَوْعَبَ الْأَلْفَ، مَا كَانَ هَذَا يُسَمَّى زِيَادَةً، وَإِنَّمَا يُقال لَهُ تَلْخِيصٌ وَتَفْصِيلٌ، وَكَذَلِكَ لَوْ لَمْ يُلَخِّصْهَا، وَلَكِنَّهُ رَدَّدَ ذَلِكَ الْإِقْرَارَ مَرَّاتٍ، مَا قِيلَ لَهُ زِيَادَةٌ أَيْضًا، إِنَّمَا هُوَ تَكْرِيرٌ وَإِعَادَةٌ، لِأَنَّهُ لَمْ يُغَيِّرِ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا.

فَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: يَزْدَادُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَكُونُ الْإِيمَانُ هُوَ الزِّيَادَةُ، فَإِنَّهُ مَذْهَبٌ غَيْرُ مَوْجُودٍ؛ لِأَنَّ رَجُلًا لَوْ وَصَفَ مَالَهُ فَقِيلَ: هُوَ أَلْفٌ، ثُمَّ قِيلَ: إِنَّهُ ازْدَادَ مِائَةً بَعْدَهَا، مَا كَانَ لَهُ مَعْنًى يَفْهَمُهُ النَّاسُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمِائَةُ هِيَ الزَّائِدَةُ عَلَى الْأَلْفِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَشْيَاءِ، فَالْإِيمَانُ مِثْلُهَا، لَا يَزْدَادُ النَّاسُ مِنْهُ شَيْئًا، إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ الزَّائِدُ فِي الْإِيمَانِ.

الشيخ: يعني إذا كنتم تقولون أن الإيمان هو اعتقاد القلب، والأعمال هل تزيد في الإيمان أم لا تزيد؟ إن قلتم لا تزيد، فأنتم نقضتم الشرع واللغة، لأنه لو كان معك ألف درهم، ثم ضفت عليهم مئة، الصحيح أنهم زادوا مئة على الألف، أما تقول: لا، مع الزيادة هذه هو ألف، نقول: هذا لا يعقل، كذلك المؤمن إذا صدَّق بقلبه وقال بلسانه هو مؤمن وإذا أتى بأعمال الجوارح والأعمال زاد إيمانا، هذا هو المفهوم من القرآن والسنة، أما تقول: لا، هذا لا عبرة له، نقول: هذا عند المرجِئة فقط.

وَأَمَّا الَّذِينَ جَعَلُوا الزِّيَادَةَ ازْدِيَادَ الْيَقِينِ فَلَا مَعْنًى لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْيَقِينَ مِنَ الْإِيمَانِ، فَإِذَا كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ كُلُّهُ بِرُمَّتِهِ إِنَّمَا هُوَ الْإِقْرَارُ، ثُمَّ اسْتَكْمَلَهُ هَؤُلَاءِ الْمُقِرُّونَ بِإِقْرَارِهِمْ، أَفَلَيْسَ قَدْ أَحَاطُوهُ بِالْيَقِينِ مِنْ قَوْلِهِمْ!! فَكَيْفَ يَزْدَادُ مِنْ شَيْءٍ قَدِ اسْتُقْصِيَ وأُحيط به؟! أرأيتم

رجلًا نظر إلى النهار بِالضُّحَى حَتَّى أَحَاطَ عَلَيْهِ كُلُّهُ بِضَوْئِهِ هَلْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزْدَادَ يَقِينًا بِأَنَّهُ نَهَارٌ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ؟! هَذَا يَسْتَحِيلُ وَيَخْرُجُ مِمَّا يَعْرِفُهُ النَّاسُ.

الشيخ: هذا هو الرد على أهل الإرجاء الذين يقولون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وزيادته هو زيادة اليقين الذي في القلب فقط، أما الأعمال فلا يزداد منها ولا ينقص.

المجلس الثاني

بَابُ تَسْمِيَةِ الْإِيمَانِ بِالْقَوْلِ دُونَ الْعَمَلِ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: قَالَتْ هَذِهِ الْفِرْقَةُ: إِذَا أَقَرَّ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ بِلِسَانِهِ، فَذَلِكَ الْإِيمَانُ كُلُّهُ.

الشيخ: جعلوا هذا الإيمان كله هو الآعتقاد بقلبه ونطق بلسانه، وشهد شهادة الحق بلسانه فذلك الإيمان كله، إذا جعلوا هذا الإيمان كله، هو الاعتقاد بالقلب، والنطق باللسان، هؤلاء هم المرجئة الذين اخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان.

فَذَلِكَ الْإِيمَانُ كُلُّهُ؛ لأَنَّ اللَّهَ سَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ عِنْدَنَا قَوْلًا، وَلَا نَرَاهُ شَيْئًا.

الشيخ: يعني هذا ليس هو مذهب أهل السنة والجماعة، وليس هو بشيء عند أهل الحق والاتباع، قال: «وذلك من وجهين»، يعني يرد هذا القول، ويقول أن هذا ليس هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد هو قرر في الباب الأول مذهب أهل السنة والجماعة، وقال: هو اعتقاد وقول وعمل. هذا فيما سبق.

أحدهما ما أعلمتك في الثلث الأول -يعني من هذا الكتاب-، أن الإيمان المفروض في صدر الإسلام -يعني في أول الإسلام- لم يكن يومئذ شيئًا إلا إقرار فقط.

الشيخ: يعني لم ينزل من الفروض ولا الشرائع إلا قول لا إله إلا الله، هذا الذي كان في صدر الإسلام، لم يكلفوا بشيء غير هذا، وهذا هو الإيمان، حينئذ كان هذا هو الإيمان المفروض عليهم، وهذا هو مذهب المرجئة، أنه إذا قر وصدق واعترف بقلبه وشهد بلسانه، فذلك كامل الإيمان، ولو لم يعمل بجوارحه، لو لم يقم بأركان الإسلام الظاهرة. لماذا؟ لأنه حصر الإيمان في اعتقاد القلب، في الإقرار، في النطق باللسان فقط، هذا هو الإيمان عند المرجئة.

قال: «وأما الحجة الأخرى»: يعني الوجه الأخر الذي يرد به على أهل الإرجاء.

«فإنا وجدنا الأمور كلها يستحق الناس بها أسمائها»: يعني هذا هو الإيمان الذي يُطلَق على من أتى به.

«مع ابتدائها والدخول فيها»: يعني الإنسان يدخل في هذا الدين بماذا؟ بلا إله إلا الله، هذا يثبت به عقد الإسلام، بم يصير الكافر به مسلما؟ بالتلفظ بالشهادتين، أليس هذا هو الإسلام الحكمي، الذي يعصم به الدم والمال في الدنيا؟ هذا هو، مَنْ قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، هذا التزام بالشرائع بعد أن نزلت، ولكن في الصدر الأول لم يفرض عليهم إلا هذا.

«ثم يفضل فيها بعضهم بعضا»: بماذا يفْضُل بعضُهم بعضًا؟ هذه بالأعمال الظاهرة؛ لأن أعمال القلب ليس لك سلطان عليها، هذا ما في القلوب، يعلمه علام الغيوب سبحانه وتعالى، أما الحكم هو بالظاهر، من إيمان وكفر، هذا هو الظاهر.

«وقد شملهم فيها اسم واحد»: ألا وهو اسم الإيمان، اسم الإسلام، هذا هو الإسلام الظاهر، هذا هو الإيمان الذي يُعصَم به الدم والمال، هذا الذي هو في الدنيا.

مِنْ ذَلِكَ أَنَّكَ تَجِدُ الْقَوْمَ صُفُوفًا بَيْنَ مُسْتَفْتِحٍ لِلصَّلَاةِ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ، وَقَائِمٍ وَجَالِسٍ، فَكُلُّهُمْ يَلْزَمُهُ اسْمُ الْمُصَلِّي، فَيُقَالُ لَهُمْ مُصَلُّونَ، وَهُمْ مَعَ هَذَا فِيهَا مُتَفَاضِلُونَ.

الشيخ: يعني في ماذا؟ في الصلاة، الكل يصلي في الصلاة، ولكن بينهم من الفضل والدرجات ما بين السماء والأرض، هذا مشاهد، الإنسان يقف في الصلاة يخشع فيها، والأخر يلهو، وهذه درجات متفاوتة بين الناس، إذن الناس يتفاضلون في الأعمال الظاهرة، وهذا فيه رد على من يقول بعدم التفاضل وأن الإيمان أهله فيه سواء، التفاضل يحصل حتى في الصلاة، كما يقول، الكل يصلي، ويُطلَق عليه اسم مصلي، ولكن هل هم على درجة واحدة؟ لا، يتفاوتون في درجة الخشوع والقبول وغير ذلك.

وَكَذَلِكَ صِنَاعَاتُ النَّاسِ، لَوْ أَنَّ قَوْمًا ابْتَنُوا حَائِطًا وَكَانَ بَعْضُهُمْ فِي تَأْسِيسِهِ، وَآخَرُ قَدْ نَصَّفَهُ، وَثَالِثٌ قَارَبَ الْفَرَاغَ مِنْهُ، قِيلَ لَهُمْ جَمِيعًا بُنَاةٌ، وَهُمْ مُتَبَايِنُونَ فِي بِنَائِهِمْ.

الشيخ: إذن أنت لو مررت على بيت يُبنى، والكل يعمل فيه، ولكن صناعات مختلفة، ولكن يطلق عليهم أنهم كلهم يبنون هذا البيت، ولكن المهن والصناعات تختلف.

وَكَذَلِكَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أُمروا بِدُخُولِ دَارٍ، فَدَخَلَهَا أحدهم فَلَمَّا تَعَتَّبَ الْبَابَ أَقَامَ مَكَانَهُ، وَجَاوَزَهُ الْآخَرُ بِخُطُوَاتٍ، وَمَضَى الثَّالِثُ إِلَى وَسَطِهَا، قِيلَ لَهُمْ جَمِيعًا دَاخِلُونَ، وَبَعْضُهُمْ فِيهَا أَكْثَرُ مَدْخَلًا مِنْ بَعْضٍ. فَهَذَا الْكَلَامُ الْمَعْقُولُ عِنْدَ الْعَرَبِ السَّائِرُ فِيهِمْ، فَكَذَلِكَ الْمَذْهَبُ فِي الْإِيمَانِ، إِنَّمَا هُوَ دُخُولٌ فِي الدِّينِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر]. وَقَالَ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

الشيخ: يعني ادخلوا في الإسلام، هذا الإسلام كما قلنا يثبت بالتلفظ بالشهادتين ابتداء، ثم الالتزام بالشرائع بعد ذلك، ولا يُحكَم له بالنجاة من النار إلا إذا استمر، يعني في البدء والاستمرار، والموت على هذا الإسلام، هذا هو الذي ينجو من الخلود في النار.

فالسلم الإسلام، وقوله: ﴿كَافَّةً﴾ مَعْنَاهَا عِنْدَ الْعَرَبِ الْإِحَاطَةُ بِالشَّيْءِ.

الشيخ: يعني الدخول فيه جميعا، لا تدخلْ من باب دون باب، ولا تؤمنْ ببعض وتكفرْ ببعض، أو تأتي ببعض وتترك بعض، لا، هذا لا يكون إسلاما، ولكن ادخلوا في السلم كافة.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ γ: «بُنِي الْإِسْلَامُ عَلَى خمسٍ».

الشيخ: إذن قوله γ «على خمس»، أي هذا هو البناء الكامل، بهذه الخمس، لا يتم ولا يصح إلا بهذه الخمس.

فَصَارَتِ الخمسُ كُلُّهَا هِيَ الْمِلَّةُ التي سمّاها الله سلمًا مفروضا. فَوَجَدْنَا أَعْمَالَ الْبِرِّ، وَصِنَاعَاتِ الْأَيْدِي، وَدُخُولِ الْمَسَاكِنِ كُلَّهَا تَشْهَدُ عَلَى اجْتِمَاعِ الِاسْمِ، وَتَفَاضُلِ الدَّرَجَاتِ فِيهَا، هَذَا فِي التَّشْبِيهِ وَالنَّظَرِ، مَعَ مَا احْتَجَجْنَا بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الشيخ: يعني بالنظر والعقل والوحي، هكذا أقام الحجة على أهل البدع، سواء كانوا من أهل غلو الخوارج، أو كانوا من أهل الإرجاء.

فَهَكَذَا الإيمانُ هُوَ دَرَجَاتٌ وَمَنَازِلٌ، وَإِنْ كَانَ سَمَّى أَهْلَهُ اسْمًا وَاحِدًا، وَإِنَّمَا هُوَ عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالٍ تَعَبَّدَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَفَرَضَهُ عَلَى جَوَارِحِهِمْ، وَجَعَلَ أَصْلَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْقَلْبِ، ثُمَّ جَعَلَ الْمَنْطِقَ شَاهِدًا عَلَيْهِ.

الشيخ: المنطق يعني قول اللسان.

ثُمَّ الْأَعْمَالَ مُصَدِّقَةً لَهُ، وَإِنَّمَا أَعْطَى اللَّهُ كُلَّ جَارِحَةٍ عَمَلًا لَمْ يُعْطِهِ الْأُخْرَى، فَعَمَلُ الْقَلْبِ: الِاعْتِقَادُ، وَعَمَلُ اللِّسَانِ: الْقَوْلُ، وَعَمَلُ الْيَدِ: التَّنَاوُلُ، وَعَمَلُ الرِّجْلِ: المشي، وكلها يجمعها اسم الْعَمَلِ.

الشيخ: إذن الإيمان قول وعمل، قول القلب، وعمل القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح، فهو ظاهر وباطن، هذا الإيمان هو ظاهر وباطن، هذا هو الأصل، قول وعمل يقصدون به والعمل عملان والقول قولان.

وانتبه هنا لم يقل على قول اللسان عمل كما يقول أهل الضلال كشبابة وغيره فقول اللسان لا يسمى عملاً عند السلف بل يسمى قولاً ,قول اللسان وقول القلب

فَالْإِيمَانُ عَلَى هَذَا التَّنَاوُلِ إِنَّمَا هُوَ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعَمَلِ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَفَاضَلُ فِي الدَّرَجَاتِ عَلَى مَا وَصَفْنَا. وَزَعَمَ مَنْ خَالَفَنَا أَنَّ الْقَوْلَ دُونَ الْعَمَلِ.

الشيخ: من الذي خالفنا في هذا، هم المرجئة.

فَهَذَا عِنْدَنَا مُتَنَاقِضٌ، لِأَنَّهُ إِذَا جَعَلَهُ قَوْلًا فَقَدْ أَقَرَّ أَنَّهُ عَمَلٌ وَهُوَ لَا يَدْرِي بِمَا أَعْلَمْتُكَ مِنَ الْعِلَّةِ الْمَوْهُومَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي تَسْمِيَةِ أَفْعَالِ الْجَوَارِحِ عَمَلًا. وَتَصْدِيقُهُ فِي تَأْوِيلِ الْكِتَابِ فِي عَمَلِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، قَوْلُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

الشيخ: الشاهد هنا تسمية طمأنينة القلب ووجله ‹عملًا›، هذا هو عمل القلب، من الخوف والمحبة والرجاء، وقول القلب هو التصديق، تصديق القلب، اعتقاد القلب، أما عمل القلب هذه من أعمال المحبة والخوف والرجاء والإنابة كل هذه من أعمال

القلوب، إذن قول القلب هنا: هو التصديق، وأعمال القلوب كلها من الإيمان، الخوف والرجاء والمحبة والإنابة والطمأنينة، كل هذه من أعمال القلوب.

وَقَالَ: ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾ [التحريم: ٤]، وَقَالَ: ﴿الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٥].

وقال رسول الله γ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ لَمُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ الْجَسَدِ، وَهِيَ الْقَلْبُ»، وإذا كان القلب مطمئنا مرة، ويَصغَى أخرى، ويوجل ثالثة، ثم يكون منه الصلاح والفساد، فأي عمل أكثر من هذا؟

ثم بين ما ذكرنا قوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِما نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨]. فهذا ما في عمل القلب وَأَمَّا عَمَلُ اللِّسَانِ.

فَقَوْلُهُ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ وَكانَ اللهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]، فَذَكَرَ الْقَوْلَ ثم سماه عملًا. ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

الشيخ: ﴿لي عملي﴾ يعني لي قولي، ﴿ولكم عملكم﴾ يعني لكم قولكم.

هَلْ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ γ مَعَهُمْ إِلَّا دُعَاؤُهُ إِيَّاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَرَدُّهُمْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ بِالتَّكْذِيبِ وَقَدْ أَسْمَاهَا هَاهُنَا عَمَلًا؟ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ ثَالِثٍ: ﴿قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ إِلَى ﴿لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ﴾ [الصافات: ٥١ - ٦١]. فَهَلْ يَكُونُ التَّصْدِيقُ إِلَّا بِالْقَوْلِ وَقَدْ جَعَلَ صَاحِبَهَا هاهنا عاملا؟!

ثم قال: ﴿اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، فَأَكْثَرَ مَا يَعْرِفُ النَّاسُ مِنَ الشُّكْرِ أَنَّهُ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ بِاللِّسَانِ، وَإِنْ كَانَتِ الْمُكَافَأَةُ قَدْ تُدْعَى شُكْرًا.

الشيخ: إذن فسمى العمل هنا شكرًا، والصحيح أن الشكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالأعمال، الشكر لا يقتصر على شكر اللسان، بل لا بد من شكر القلب، أي: اطمئنان القلب، وإذعانه، ومعرفة حق الله سبحانه وتعالى عليه في هذه النعمة التي أنعم الله عليه، هذا قلبه، والقول هذا باللسان قول اللسان، أما بالعمل أن يؤدي هذه النعمة التي أنعم الله عليه بها بعمله، إذا كان يدعو، إذا كان يتصدق، إذا كان يحج، إذا كان يعتمر، كل هذه شكر لله سبحانه وتعالى، فالشكر لا يكون باللسان، بل يكون بالقلب واللسان وعمل الجوارح، وهذا هو الصحيح وهذا هو أعم.

فَكُلُّ هَذَا الَّذِي تَأَوَّلْنَا إِنَّمَا هُوَ عَلَى ظَاهِرِ الْقُرْآنِ، وَمَا وَجَدْنَا أَهْلَ الْعِلْمِ يَتَأَوَّلُونَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ، إِلَّا أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُسْتَفِيضُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ غَيْرَ الْمَدْفُوعِ، فَتَسْمِيَتُهُمُ الْكَلَامَ عَمَلًا، مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: لَقَدْ عَمِلَ فُلَانٌ الْيَوْمَ عَمَلًا كَثِيرًا، إِذَا نَطَقَ بِحَقٍّ وَأَقَامَ الشَّهَادَةَ، وَنَحْوَ هَذَا. وَكَذَلِكَ إِنْ أَسْمَعَ رَجُلٌ صَاحِبَهُ مَكْرُوهًا، قِيلَ قَدْ عَمِلَ بِهِ الْفَاقِرَةَ، وَفَعَلَ بِهِ الأفاعيل، ونحوه من القول، فَسَمُّوهُ عَمَلًا، وَهُوَ لَمْ يَزِدْهُ عَلَى الْمَنْطِقِ، مِنْهُ الحديث المأثور: «من عد كلامَه من عمله، قل كلامُه إلا فيما ينفعه» فوجدنا تأويل

القرآن، وآثار النبي γ وما مضت عليه العلماء، وصحة النظر، كلها تصدق أهل السنة في الإيمان، فيبقى القول الآخر، فأي شيء يتبع بعد هذه الحجج الأربع؟! وقد يلزم أهل هذا الرأي ممن يدعي أن المتكلم بالإيمان مستكمل له، من التَّبِعَةِ ما هو أشد مما ذكرنا، وذلك فيما قص علينا من نبأ إبليس في السجود لآدم فإنه قال: ﴿إِلاّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤] فَجَعَلَهُ اللَّهُ بِالِاسْتِكْبَارِ كَافِرًا، وَهُوَ مُقِرٌّ بِهِ غَيْرُ جاحِدٍ لَهُ، أَلَا تَسْمَعُ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] فَهَذَا الْآنَ مُقِرٌّ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ، وَأَثْبَتَ الْقَدَرَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦ والحجر: ٣٩] وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ: ﴿وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤] أنه كان كافرا قبل ذلك! ولا وَجْهَ لِهَذَا عِنْدِي؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالسُّجُودِ لَمَا كَانَ فِي عِدَادِ الْمَلَائِكَةِ وَلَا كَانَ عَاصِيًا إِذًا لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ أُمِرَ بِالسُّجُودِ.

الشيخ: إذن الصحيح أن إبليس ليس من الملائكة، بل كان من الجن ففسق عن أمر ربه، ولكنه كان مع الملائكة، كان عابدًا يعبد الله سبحانه وتعالى مع الملائكة، ولكن هو ليس من جنس الملائكة، هو من الجن، وهو خلق من نار، فهذا جنس غير هذا، وهو كَفَر بالاستكبار والامتناع، لم يكن قبل ذلك كافرًا، بل كان عابدًا، ولكن كفر لَمَّا استكبر، وهذا قد تكلمنا فيه في المقدمة عند كفر الاستكبار والإباء مع التصديق، فالكفر لا يكون التكذيب أبدًا، كما تقول المرجئة، يقولون أن الإيمان هو التصديق، إذن الكفر هو التكذيب، وهذا خطأ، لأن إبليس لم يكذب، بل صدق، ولكن كفر إبليس كان استكبارًا وإباءً، فالذي يقول أن هذه مترادفات إذا كان الإيمان هو التصديق؛ فإذن الكفر هو التكذيب، ولا كفر إلا بالتكذيب، وهذا خطأ، هذا ضلال، الذين يحصرون الكفر في الجحود والاعتقاد والاستحلال والتكذيب هذه كلها قيود باطلة، بل بين الله سبحانه وتعالى عدم انحصار الكفر بالقلب، وقال أن الكفر هذا يكون بالقلب ويكون بالقول، ويكون بالعمل، وقال الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا﴾، فسمى الله سبحانه وتعالى قول اللسان كفرا، يكفر به الإنسان، فهذه لا بد أن تنتبهوا لها، لأنه كما ذكرنا أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة ليس هو التصديق، حتى في اللغة، تكلمنا قبل هذا قلنا حتى الإيمان عند أهل اللغة ليس التصديق، بل هو التصديق وزيادة، ما هي الزيادة؟ هو الإذعان والانقياد لأمر الله سبحانه وتعالى، إذن ليس هو التصديق المجرد حتى عند أهل اللغة، وهذا يَرُدّ قول من قال أن الإيمان في اللغة هو التصديق، لا، التصديق وزيادة، وهو الإذعان، التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى، وكذلك الكفر ليس هو التكذيب.

وَيَنْبَغِي فِي هَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَكُونَ إِبْلِيسُ قَدْ عَادَ إِلَى لْإِيمَانِ بَعْدَ الْكُفْرِ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، فَهَلْ يَجُوزُ لِمَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ وَكِتَابَهُ وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ أَنْ يُثْبِتَ الْإِيمَانَ لِإِبْلِيسَ الْيَوْمَ؟

الشيخ: هذا الخلاصة من هذا الباب، أن الإرجاء في الأعمال وإخراجها من مسمى الإيمان إما يكون مع اعتقاد وجوبها من أدلة أخرى، وهو مذهب مرجئة الفقهاء، كما مر معنا، الذين يخرجون الأعمال من أصل الإيمان، مع أن مرجئة الفقهاء يقولون

بالإيمان الواجب، بل ويكفرون بهذه المكفرات كما قلنا، الأحناف أو مرجئة الفقهاء؛ لأنهم ينسبون إلى حماد بن أبي سليمان هو شيخ المذهب هذا، وهو الذي أسس هذا، وهو مات سنة مئة وعشرين هجرية، ولكن نسب هذا المذهب إلى أبي حنيفة رحمه الله تعالى ورضي عنه، وهو قد مات سنة مئة وخمسين، يعني هذا حمل المذهب ثلاثين سنة، هذا أبو حنيفة، ولكن الشيخ هو حماد بن أبي سليمان، كانوا يُدخِلون هذه الأعمال ويكفرون بها، كانوا يقولون من قال مُسَيْجِد أو مُصَيْحِف كفر، فكيف هم لا يقولون بالمكفرات القولية والعملية، ولكن غاية ما عندهم أنهم أخرجوا الأعمال من أصل الإيمان، وجعلوها في الواجبات، وكانوا أحرص الناس على العبادات، وأورع الناس، هذا خلاف المرجئة في زماننا.

بَابُ مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ الْمَعْرِفَةَ بِالْقَلْبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ.

الشيخ: هذا الرد على من؟ على الجهمية، وتكفير السلف لهم، الباب السابق هذا كان الرد على المرجئة، الآن بدأ يرد على الجهمية، وأن السلف كفروهم ولم يجعلوهم من أهل الإسلام، وقلنا من هم الجهمية؟ الجهمية بإطلاق يدخل فيهم المعتزلة، والأشاعرة، والماتردية، وغير ذلك، لذلك عندما يقول الجهمية كفرهم السلف، لا يطلق هذا على الجهمية العامة، ولكن يطلق هذا على الجهمية المحضة الذين كفرهم السلف، الذين ردوا وأنكروا وجحدوا أسماءَ الله وصفاته، أما السلف عند الكلام بإطلاق عن الجهمية يقولون: وهذا قول الجهمية، يقصدون به المعتزلة والأشاعرة والماتردية، يدخل فيهم هكذا، لذلك يخطئ من يقول: أن السلف كفروا الأشاعرة، أو كفروا المعتزلة، أو كفروا الماتردية، نقول هذا خطأ، هذا إطلاق، وهذا تعميم، ولكن السلف لم يجمعوا إلا على تكفير الجهمية المحضة، لماذا كفروهم؟ لأنهم ردوا وجحدوا وأنكروا أسماء الله وصفاته، طيب الجحد والرد والإنكار: كفر، هذا قول، ليس فيه اختلاف، أما الأشاعرة لم يردوا ولم يجحدوا، وليس هذا دفاعًا عن الأشاعرة، هم ضلال، ولكن هناك فرق بين التكفير وبين الضلال والانحراف، فهذا ليس دفاعا عن الأشاعرة، أو المعتزلة، أو الماتردية، أو المرجئة وغير ذلك من أهل البدع، ولكن هو دفاع عن مذهب أهل السنة والجماعة، وصون هذا المذهب من انحراف الغلو، أو انحراف التفريط، هذا لا بد أن يوضح، لا بد أنت كطالب علم أن تصون عقيدة أهل السنة والجماعة ودعوة التوحيد والسنة، من هذه الأمور التي يشوهون بها دعوة السنة، لا بد أن تفرق دائمًا، بين مناطات التكفير، وبين مناطات التضليل والتبديع والتفسيق، نعم هم على خطأ، هم ضلال هم مبتدعة، والقول الذي يقولون به هو كفر بإطلاق وبالعموم، إنما عندما تجد، أو ترى، أو تبحث في عقيدة أهل السنة والجماعة من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، لم يثبت أبدا عن عالم من علماء أهل السنة كفر أعيان الأشاعرة أو الماتردية، أو المعتزلة، أو المرجئة، ولكن قالوا بالعموم: من قال أن القرآن كلام الله مخلوق فقد كفر، من قال أن الله ليس في السماء قد كفر، وهكذا يقولون، مَنْ مثلا أول اليد أو قال أنها القدرة، أو الاستواء أنه الاستيلاء. كل هذه يطلقونها بالتكفير تحذيرًا لهم، إنما هل ثبت عن السلف الصالح أنهم كفروا أعيان الأشاعرة أو الماتردية أو المرجئة؟ لا، ولكن حذروا من بدعتهم، ولكن أجمعوا على تكفير الجهمية، لماذا كفروا الجهمية؟ لأنهم يعبدون عدمًا، يقولون عليم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، فهم يعبدون عدمًا، ينكرون الأسماء والصفات، ويجحدونها ويردونها، وهذه كل واحدة منها كفر، فلازم هنا التفريق لابد أن نفرق بين هذا وبين هذا.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: قَدْ ذَكَرْنَا مَا كَانَ مِنْ مُفَارَقَةِ الْقَوْمِ إِيَّانَا فِي أَنَّ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ، عَلَى أَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا لَنَا مُفَارِقِينَ، فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى مَذْهَبٍ قَدْ يَقَعُ الْغَلَطُ فِي مِثْلِهِ.

الشيخ: إذن هو يعتذر عن هؤلاء المرجئة يعني، يقول وإن كانوا خالفونا فهم في دائرة الإسلام، لم يخرجوا منها، وهذا الإمام قلنا هو ولد في منتصف القرن الثاني، وهو قرين كما قلنا الأئمة الكبار، فهو يقول هذا، يقول: لا نكفر المرجئة، وإن كان قولهم خطأ وضلالًا ورددنا عليهم، ولكن هم ما زالوا في دائرة الإسلام، لم يكفروا، أما الذين

نتكلم عنهم الآن قد خرجوا من دائرة الإسلام، إذن عندنا دائرة كبيرة، وهي دائرة الإسلام، يدخل وينتسب إلى هذه الدائرة كل من ينتسب إلى الإسلام، سواء انتسب بحق أو بباطل، فيدخل في هذه الدائرة: الأشاعرة المتردية، الخوارج ،الرافضة، الباطنية، الإسماعيلية، كل هؤلاء ينتسبون إلى الإسلام، ولكن منهم من يدخل في الإسلام، ومنهم من لا يدخل في الإسلام، مثل الرافضة، مثل الجهمية، مثل الإسماعيلية، مثل القرامطة، مثل الباطنية، كل هؤلاء كفار لا يخرجون وإن انتسبوا إلى الإسلام، وهناك دائرة داخل هذه الدائرة الكبيرة، تسمى دائرة أهل السنة، فكل يلتزم بأصول أهل السنة، وقواعد أهل السنة، يدخل في هذه الدائرة، وكل من خالف أهل السنة في أصل من أصولهم يخرج من هذه الدائرة، التي هي دائرة أهل السنة ويدخل في الدائرة الكبرى وهي دائرة الإسلام، هذا لا بد أن تُحَدِّده، هذه أمور لا بد أن تطلع عليها وتحققها وتعرف مناط الكفر ومناطق التضليل والتبديع.

ثُمَّ حَدَّثَتْ فِرْقَةٌ ثَالِثَةٌ شَذَّتْ عَنِ الطَّائِفَتَيْنِ جَمِيعًا لَيْسَتْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَلَا الدِّينِ، فَقَالُوا: الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقُلُوبِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قولٌ وَلَا عملٌ.

الشيخ: هذه زادت، الجهمية التي يتكلم عنها الآن، قالت الإيمان هذا: هو المعرفة فقط، من عرف الله فهو مؤمن، من عرف الله بقلبه فهو المؤمن، وعلى هذا يلزم أن إبليس مؤمن، وفرعون مؤمن، لإنهم كانوا يعرفون الله سبحانه وتعالى، وحقيقةً هم لا يقولون بهذا، الجهمية لا يقولون أن إبليس مؤمن، أو فرعون مؤمن، لا يقولون بهذا، ولكن هو لازم القول، السلف قالوا يلزم من قولكم أنكم تقولون بهذا، أما حقيقةً هذا يثبت عنهم؟ لا، الإنصاف عزيز، ولكن لا بد عندما تتكلم، تكلم بما لك وما عليك، هم كفروا من أكثر من باب، ولكن هل هم يقولون أن إبليس مؤمن أو فرعون مؤمن؟ لا، هذا لازم قولهم، هم ينكرون هذا، لو قلت لهم أنت تقول أن فرعون في الجنة وإبليس في الجنة يقول لا هذا خطأ، ما نقول هذا، ولكن هو لازم القول.

وَهَذَا مُنْسَلِخٌ عِنْدَنَا مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْمِلَلِ الْحَنَفِيَّةِ؛ لِمُعَارَضَتِهِ لِكَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ γ بِالرَّدِّ وَالتَّكْذِيبِ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]، فَجَعَلَ الْقَوْلَ فَرْضًا حَتْمًا، كَمَا جَعَلَ مَعْرِفَتَهُ فَرْضًا، وَلَمْ يَرْضَ بِأَنْ يَقُولُ: اعْرِفُونِي بِقُلُوبِكُمْ.

الشيخ: هو يرد عليهم أنهم يقولون أن الإيمان معرفة القلب، يقول هذا لم يقوله الله سبحانه وتعالى، ولم يورده في كتابه.

ثُمَّ أَوْجَبَ مَعَ الْإِقْرَارِ الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ كَإِيجَابِ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ إِيمَانًا إِلَّا بِتَصْدِيقِ النَّبِيِّ γ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ فَقَالَ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، وَقَالَ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، وَقَالَ: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، يَعْنِي النَّبِيَّ γ، فَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ مَعْرِفَتَهُمْ بِهِ إِذْ تَرَكُوا الشَّهَادَةَ لَهُ بألسنتهم إيمانًا، ثُمَّ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ γ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ» فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا لَا تُحْصَى.

الشيخ: فدل ذلك على عدم الاكتفاء بمعرفة القلب، وهو ما يدل على بطلان قول الجهمية، أن معرفة القلب ليست إيمانا، والله سبحانه وتعالى لم يعتبرها إيمانا، ولكن لا بد من اعتقاد القلب، وقول اللسان، والانقياد بعمل الجوارح، هذا هو الإيمان المطلوب منك أن تؤمن به وتأتيَ به جميعا، هذه أركان ثلاثة للإيمان.

وَزَعَمَتْ هَذِهِ الْفِرْقَةُ

الشيخ: الفرقة هي الجهمية، هذا باب الرد على الجهمية

وَزَعَمَتْ هَذِهِ الْفِرْقَةُ أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ عَنْهُمْ بِالْمَعْرِفَةِ!

الشيخ: يعني اكتفى منهم بالمعرفة، لم يطلب منهم إلا المعرفة، أين هذا؟ أين الدليل على هذا؟!

وَلَوْ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ وَدِينُهُ عَلَى مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ مَا عُرِفَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَا فُرِّقَتِ الْمِلَلُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، إِذْ كَانَ يَرْضَى مِنْهُمْ بِالدَّعْوَى عَلَى قُلُوبِهِمْ، غَيْرَ إِظْهَارِ الْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ النُّبُوَّةُ، وَالْبَرَاءَةِ مِمَّا سِوَاهَا، وَخَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ بِالْأَلْسِنَةِ بَعْدَ الْقُلُوبِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا يَكُونُ مُؤْمِنًا ثُمَّ شَهِدَ رَجُلٌ بِلِسَانِهِ أَنَّ اللَّهَ ثَانِي اثْنَيْنِ كَمَا يَقُولُ الْمَجُوسُ وَالزَّنَادِقَةُ، أَوْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ كَقَوْلِ النَّصَارَى، وَصَلَّى لِلصَّلِيبِ، وَعَبَدَ النِّيرَانَ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ لَكَانَ يَلْزَمُ قَائِلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَجْعَلَهُ مُؤْمِنًا مُسْتَكْمِلًا الْإِيمَانَ كَإِيمَانِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ!

الشيخ: هذا يقول لكان يلزم، يعني هذا لازم القول، إذا كان الإيمان هو المعرفة، إذن لا يوجد كافر على وجه الأرض، الكل يعرفون بقلوبهم أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، حتى كفار قريش، {ولإن سألتهم ليقولن الله}، }{قل من رب السماوات والأرض} من خلق السماوات والأرض؟ هم كانوا يعرفون توحيد الربوبية أفضل من مشركي زماننا، ومع هذه المعرفة لم تُدخِلهُم الإسلام، بل قاتلهم النبي γ، مع إقرارهم ومعرفتهم بتوحيد الربوبية، فإذن دل ذلك على أن معرفة القلب ليست إيمانًا، وإن حصرنا الإيمان في المعرفة، فلا يوجد أبدًا كافر على وجه الأرض، وهذا قول ظاهر البطلان.

فَهَلْ يَلْفِظُ بِهَذَا أَحَدٌ يَعْرِفُ اللَّهَ أَوْ مُؤْمِنٌ لَهُ بِكِتَابٍ أَوْ رَسُولٍ؟ وَهَذَا عِنْدَنَا كفرٌ لَنْ يَبْلُغَهُ إِبْلِيسُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْكُفَّارِ قَطُّ.

الشيخ: حتى إبليس لا يجهل الله سبحانه وتعالى، حتى إبليس يعرف الله سبحانه وتعالى، بل يعظم الله سبحانه وتعالى، بل يخاف الله سبحانه وتعالى.

بَابُ ذِكْرِ مَا عَابَتْ بِهِ الْعُلَمَاءُ مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ قَوْلًا بِلَا عَمَلٍ، وَمَا نهَوا عنه من مجالستهم.

الشيخ: إذن بعد أن بين هو مذهب أهل السنة والجماعة، في الإيمان والكفر، ثم بعد ذلك رد على المرجئة، وبين فساد مذهبهم، ثم بعد ذلك رد على الجهمية وكفرهم وأخرجهم من الإسلام، يرجع بعد ذلك ويذكر لماذا عاب السلف على المرجئة، يذكر السبب الذي جعل علماء السلف ينكرون على المرجئة، ويذمونهم ويهجرونهم ويُبدّعونهم ويحذرون منهم، هذا هو الباب في ذم السلف للمرجئة والإرجاء، وتحذير السلف من مجالسة أهل الأهواء وأهل الإرجاء، علماء السلف كانوا يحذرون الناس من مجالسة أهل الإرجاء، وكما قلنا إرجاء الفقهاء أقل بقليل من إرجاء زماننا، ومن تلبيسات مرجئة العصر، ومع ذلك كان السلف يحذرون من مجالسة أهل الإرجاء، وكذلك فيه بيان أنَّ مخالطة أهل البدع مضرة للدين، عندما تخالط أهل البدع وأنت تعلم بدعتهم، هذه فيها مفاسد عظيمة جدًا، لذلك كان العلماء قديمًا يحذرون ويهجرون أهل البدع، ولا يسمحون لهم أنْ يلقوا عليهم كلمة واحدة، حتى قال بعضهم اسمع مني ولو كلمة، قال ولا نصف كلمة، قال أكلمك، قال والله لا يجمعني بك إلا سقف المسجد فقط، وأعرض عنه ولم يكلمه، لأن هؤلاء أهل شبه، وأهل زيغ، فالقلب يزيغ، وقليل الإيمان ربما يخدع بكلامهم، فهجرانهم أولى.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ، قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَهْلَ دِينَيْنِ، أَهْلَ ذَيْنِكَ الدِّينَيْنِ فِي النَّارِ، قَوْمٌ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ، وَإِنْ زَنَا وَإِنْ سَرَقَ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: مَا بَالُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؟! وَإِنَّمَا هُمَا صَلَاتَانِ! قَالَ: فَذَكَرَ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ أَوِ العشاء، وصلاة الفجر».

الشيخ: الروافض وبعض الخوارج يقولون هذا، يقولون إن الصلاة ثلاث وليست خمس، يقول هذه ليست صلوات الخمس، ولكنها ثلاث، لذلك هم يجمعون دائما، لذلك ذم السلف من يكون مسافرا أو يجمع دائمًا، يقول هذا مع أنك تأتي بالخمس، ولكنك في جمعك هذا توافق من قال أنها ثلاث صلوات، لذلك كان الأولى أن تأتي بالصلاة على وقتها، حتى وإن كنت مسافرا وعندك سعة، ولم يجد بك السير فصلِّ مُفْرِدًا كل الصلاة لوحدها، كان النبي ﷺ يجمع إذا جد به السير، أو إذا ضاق به الوقت، أما ما عدا ذلك فكان يفرد الصلاة، وهكذا المسافر لماذا؟ حتى لا يشابه هؤلاء الذين يقولون أنها ليست خمسًا ولكنها ثلاث.

قالَ: «وَقَالَ ضَمْرَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يُحَدِّثُهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ، عَنْ حُمَيْدٍ الْمَقْرَائِيِّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَارِنْ حَدِيثَ حُذَيْفَةَ هَذَا قَدْ قَرَنَ الْأَرْجَاءَ، بِحُجَّةِ الصَّلَاةِ، وَبِذَلِكَ وَصَفَهُمُ ابنُ عُمَرَ أَيْضًا، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ الْجَزَرِيُّ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صِنْفَانِ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ، والقدرية.

الشيخ: القدرية هم أتباع الجهم بن صفوان، ويقولون أن العبد مجبر على أفعاله، ولا اختيار له، وأن العبد مسير لا مخير، والجهم بن صفوان هذا كان هو رأس البلاء، وعندما تقرأ سيرة هذا أنت تخاف على نفسك، الجهم هذا كان رجلًا من عوام المسلمين، وكان عنده غيرة على دين الله سبحانه وتعالى، وكان عنده حمية الخوارج مثلا هكذا، الخوارج لا يشك أحد أنهم يحبون الدين ويغارون عليه وغير ذلك ولكن بجهل، عندهم شدة ولكن ليست في مناطها، كذلك الجهم، سمع أن هناك فرقة تدعي أن الحياة مادة وليس هناك إله ولكن إلهين، إله الظلمة، وإله النور وغير ذلك، فقال لماذا لا أدعوهم إلى الإسلام، وهذا يكون في ميزان حسناتي، و أدخلهم في الإسلام، هذا الجهم، وكان ليس عنده علم، فلما كلمهم دخلت عليه شبههم، فبدأ أن يسمع لهم، وبدأ أن يقتنع بما عندهم، فخلع ربقة الإسلام من عنقه، ودخل في هذه الضلالات، الجهم هذا، إذن هذا فيه درس، أنك لا تتكلمُ في مسألة إلا بعلم، وإن خفيت عليك فسل عنها أهل العلم كما أرشدك الله سبحانه وتعالى، ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، فالأصل أن الجاهل يسكت، لا يتكلم، وإن تكلم، تكلمَ بعلم، وإن سكت، فيسكتُ بحلم، هذه فيها دروس عظيمة جدا، أنك لا تتكلم فيما لا تحسن، هذا مهم جدا، الجهم هذا كما قلنا، دخل أنه ينصر الإسلام فأصبح هو رأس البدعة ولا يذكر إلا ببدعته.

حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ قَالَ: اجْتَمَعَ الضَّحَّاكُ وَمَيْسَرَةُ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الشَّهَادَةَ بِدْعَةٌ، وَالْإِرْجَاءَ بِدْعَةٌ، وَالْبَرَاءَةَ بِدْعَةٌ.

الشيخ: الشهادة يعني يشهدون على معين بجنة ونار، وقلنا أن مذهب أهل السنة والجماعة لا يشهدون لمعين من أهل القبلة، وقيدنا ذلك بماذا؟ بأهل القبلة؛ حتى لا يدخل فيه اليهود والنصارى، ومن ليس على دين الإسلام، فالكلام هنا على أهل القبلة، لا نشهد لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار، يعني لا نقطع ولا نجزم، ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: مَا ابْتُدِعَتْ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ أَعَزُّ عَلَى أَهْلِهَا مِنْ هَذَا الْإِرْجَاءِ.

الشيخ: هذا الإرجاء الذي يسوغ للناس أنكم على خير، وأنكم على دين، وأنكم من أهل الجنة، مهما وقعتم في الذنوب والمعاصي والكفريات، فكما أنكم تقولون لا إله إلا الله، والقلب عامر بالإيمان، ومصدق، ويحب الله، فأنتم على خير، يعني هذه الأعمال التي تقع منكم، أو التي لا تستطيعوا أن تفعلونها فلا حرج عليكم، طالما أنكم تقولون لا إله إلا الله، هذه هي جرثومة الإرجاء التي فشت في الأمة، فهوَّنَت عند الناس الطاعات، حتى بدأت أنت تسمع من بعض أهل العلم الاختلاف في تارك الصلاة، والاختلاف في تارك التوحيد، والاختلاف في مرتكب الشرك الأكبر، لم يكن هذا أبدًا في مناطات العلم ومجالس العلم أبدًا عند السلف، أما الآن عندما فشى الإرجاء أصبحت تسمع هذا ممن ينتسب إلى العلم، يقول الخلاف في تارك الصلاة، الاختلاف في عابد القبور، الاختلاف في المشرع من دون الله، الذي نحَّى شريعة الله بالكلية، الذي حارب

أهل الإسلام وسجن العلماء والدعاة وعذبهم، و ناصر الكفار واليهود والنصارى، وعاونهم، هذه كلها أصبحت مسائل خلاف، مع أنها في زمن العلم عند السلف كانت من القطعيات لا خلاف فيها أبدًا، ولكن كما قلت هذه من آثار الإرجاء في زماننا.

قالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: دَخَلَ فُلَانٌ -قَدْ سَمَّاهُ إِسْمَاعِيلُ وَلَكِنْ تَرَكْتُ اسْمَهُ أَنَا- عَلَى جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فَسَأَلَهُ عَنْ آية من القرآن؟ فَقَالَ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَا قُمْتَ.

الشيخ: يعني قم من هذا لا تجالسني يعني

قَالَ: أَوْ قَالَ: أَنْ تُجَالِسَنِي أَوْ نَحْوَ هَذَا الْقَوْلِ.

الشيخ: يعني أحلف عليك ألا تجالسني ولا تكلمني، ولا أسمع منك كلمة واحدة، هذا كان هجر السلف لأهل البدع، أما انظروا الآن يستهزئون بدين الله وبالله وبرسوله وآياته والمؤمنين ويجالسونهم ولا ينكرون عليهم، ولا يقومون من مجالسهم! لماذا؟ يقول هذا الأمر بسيط لا تكن متشددا، ماذا يقولون يعني! القلب نظيف والقلب فيه إيمان فلا حرج عليك، أما هذا كان يحذر من مجالسة مرجئة الفقهاء العباد الزهاد، كانوا أهل زهد وعبادة، يحذرون من مجالستهم، لماذا؟ قالوا ببدعة، وهي بدعة الإرجاء، إخراج الأعمال من أصل الإيمان.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ: قَالَ [قَالَ] لِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ غَيْرَ سَائِلِهِ وَلَا ذَاكِرًا لَهُ شَيْئًا: لَا تُجَالِسْ فُلَانًا -وَسَمَّاهُ أَيْضًا- فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَرَى هَذَا الرَّأْيَ.

الشيخ: كان سعيد بن جبير رضي الله عنه معاشرًا ومعاصرًا لهؤلاء: لذر وسلمة الأفطس وغيرهم من أهل الإرجاء، وهم كانوا على علم، فكان يقابل طالب العلم الذي يرى فيه نجابة، يقول لا تجالس هؤلاء، لماذا؟ يقول هؤلاء يقولون بقول الإرجاء، ويحذر من مجالستهم، لذلك لا تسمع لأهل البدع، ولا تناظرهم، ولا تجالسهم، ولا تجادلهم، العلم موجود، ومن كان عنده تجرد وإخلاص في قبول الحق، الله سبحانه وتعالى سييسره، وسيفتح له أبواب الحق، أما الذي في قلبه زيغ وهوى وشبهات فهذا لن تملك له من الله شيئًا، هذا عنده استعداد للزيغ، ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾، كان عندهم استعداد للزيغ، فأزاغهم الله سبحانه وتعالى.

وَالْحَدِيثُ فِي مُجَانَبَةِ الْأَهْوَاءِ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّا إِنَّمَا قصدنا في كتابنا لهؤلاء خاصة. على مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ كَانَ سُفْيَانُ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَرْبَابِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ، الَّذِينَ كَانُوا مَصَابِيحَ الْأَرْضِ وَأَئِمَّةَ الْعِلْمِ فِي دَهْرِهِمْ، مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ وَغَيْرِهَا، زَارِينَ عَلَى أَهْلِ البدع كلها، ويرون الإيمان قولًا وعملًا.

بَابُ الْخُرُوجِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْمَعَاصِي.

الشيخ: هذا كما رد على المرجئة وذكر ذم السلف لهم، كذلك يرد على الخوارج الذين هم يكفرون بالكبائر، يكفرون بالمعاصي، ويحتجون بالأحاديث التي جاء فيها لفظ الكفر والشرك في الكبائر والمعاصي، فحملوها على الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، فكفروا أهل الإسلام بهذه الكبائر، ومعلوم عند أهل السنة أن هناك ثلاثة أشياء، ضد ثلاثة أشياء، هذه لا بد أن تحفظها، ولا بد أن تفهمها جيدا، عندنا التوحيد وضده الشرك والكفر، وعندنا السنة وضدها البدعة، ليس مقابل السنة الشيعة، لا، الشيعة تعيين، أما البدعة أعم، يدخل فيها الشيعة، والرافض، والخوارج، والإرجاء، وغير ذلك من أهل البدع جميعًا، فعندنا التوحيد وضده الكفر والشرك، وعندنا السنة وضدها البدعة، وعندنا الطاعة وضدها المعصية، لا بد أن تفرق بين هذه الثلاث، ولا يكفر المسلم إلا بترك التوحيد، وارتكاب الكفر والشرك، أما وقوعه في البدعة الغير مكفرة، أو المعصية التي هي دون الشرك، فهو داخل في دائرة الإسلام، وهو تحت المشيئة؛ إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له، ومآله إلى الجنة، هذا مذهب أهل السنة.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَمَّا هَذَا الَّذِي فِيهِ ذِكْرُ الذُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ، فَإِنَّ الْآثَارَ جَاءَتْ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ: فَاثْنَانِ مِنْهَا فِيهَا نَفْيُ الْإِيمَانِ، وَالْبَرَاءَةُ من النبي γ.

الشيخ: نفي الإيمان يعني هنا: نفي الكمال الواجب، وليس نفي الإيمان المطلق، هذا يُقصد به نفي الكمال الواجب، لأن هذه المعاصي كما قلنا هي المعاصي هي معاصي دون الكفر والشرك، انتبه لهذا جيدا، الخوارج قالوا: ﴿من يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدا فيها﴾، قالوا هذا نص قرآني يقول أن من عصى الله فهو دخل جهنم خالدا فيها، ونسوا أن الخلود هنا إما يكون على التأبيد أو على التوقيت، فالخلود خلودان، إما خلود على التأبيد وهذا للكفار، وخلود على التوقيت وهذا لأهل الكبائر والمعاصي التي هي دون الكفر.

وَالْآخَرَانِ فِيهَا تَسْمِيَةُ الْكُفْرِ وَذِكْرُ الشِّرْكِ.

الشيخ: فاثنان منها فيها نفي الإيمان، أي: كماله الواجب، والبراءة من النبي γ، أي: البراءة الجزئية، وليس البراءة الكلية.

وَكُلُّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ تَجْمَعُ أَحَادِيثَ ذَوَاتِ عِدَّةٍ. فَمِنَ النَّوْعِ الَّذِي فِيهِ نَفْيُ الْإِيمَانُ

الشيخ: يعني نفي كمال الإيمان الواجب، ما هي الأحاديث التي جاءت بنفي الكمال الواجب؟ سيذكرها الآن.

فَمِنَ النَّوْعِ الَّذِي فِيهِ نَفْيُ الْإِيمَانُ حديث النبي γ: لَا يَزْنِي الرَّجُلُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ.

الشيخ: يعني وهو كامل الإيمان، فإذا زنا وقلنا إن المعاصي تنقص الإيمان، وليست تنقض بالضاد، إذن لما هو يقول: لا يزنِي وهو مؤمن يقصد به ماذا؟ هل كفر أم انتفى عنه كمال الإيمان الواجب، وبقي معه أصل الإيمان، كما قلنا لا بد أن تفرق بين

مراتب الإيمان الثلاثة، أصل الإيمان، والإيمان الواجب، والإيمان المستحب، لا يكفر المسلم إلا بترك أصل الإيمان، أما إذا وقع في الإيمان الواجب، أو في المستحب فهو تحت المشيئة، لا بد أن تفرق بين هذه المراتب، لا بد حتى لا تقع إما إلى الإرجاء، أو إلى الغلو في التكفير، لا بد من حماية مذهب أهل السنة والجماعة من هذه الانحرافات، لا بد من صون عقيدة أهل السنة والجماعة من هذه الانحرافات، وهذا الدين أمانة وعلم، لا بد أن تؤديه كما سمعه الصحابة، وعمل به أئمة الإسلام هذا هو الأصل.

ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن

الشيخ: وهو مؤمن يعني وهو كامل الإيمان، إذن هو ناقص الإيمان بسرقته.

وَقَوْلُهُ: «مَا هُوَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ غَوَائِلَهُ».

الشيخ: يعني بوائقه وشروره.

وَقَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ، لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ»، وَقَوْلُهُ: «لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ».

الشيخ: إذن المراد بنفي الإيمان عند أهل السنة هو نفي الكمال، وليس نفي الأصل، انتبه لهذا، كيف أعرف أنا أن هذا نفي الأصل أو نفي الكمال؟ ما هو الضابط في ذلك؟ أقول أَنْظُرُ إلى العمل المتروك أو العمل المرتكب، أنظُرُ فيه، هل هو يلحق بالأصل؟ أم يلحق بالواجب، أنظر مثلا إلى لفظ هذا يقول هو فيه زنا، فيه سرقة، إذا فيه إيذاء الجار، نقول هذه أعمال كفرية أم معاصي وكبائر؟ معاصي وكبائر، إذا هذا المناط هو مناط نفي كمال الواجب.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا».

الشيخ: إذن يُعرف ذلك من السياق والقرينة في الفعل المتروك، لا بد أن يكون هذا واضحًا لديك، تعرف هذا من السياق، سياق الأحاديث، وكذلك بالقرينة، وكذلك بالنظر إلى الفعل المتروك.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يُجَانِبُ الْإِيمَانَ» وَقَوْلُ عُمَرَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ».

الشيخ: يعني لا إيمان كامل.

وَقَوْلُ سَعْدٍ: كُلُّ الْخِلَالِ يُطبع عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ، وَقَوْلُ ابْنِ عُمَرَ: «لَا يَبْلُغُ أحدٌ حقيقةَ الْإِيمَانِ حتى يدع المراءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَيَدَعَ الْمُزَاحَةَ فِي الْكَذِبِ»، وَمِنَ النَّوْعِ الَّذِي فِيهِ الْبَرَاءَةُ: قَوْلُ النَّبِيِّ γ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

الشيخ: ليس منا يعني: ليس على طريقتنا، ليس على سنتنا، ليس على منهجنا، وليس معناه هو كافر وليس من أهل الإسلام.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «لَيْسَ مِنَّا مِنْ حَمَلَ السلاحَ عَلَيْنَا» وكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا»، فِي أَشْيَاءَ من هذا القبيل، ومن النوع الذي فيه تَسْمِيَةِ الْكُفْرِ: قَوْلُ النَّبِيِّ γ

الشيخ: هنا بدأ هذه، ثم بعد ذلك يأتي بالأحاديث التي فيها إطلاق الكفر على الذنوب والمعاصي التي هي دون الكفر والشرك، جاءت أحاديث بإطلاق الكفر والشرك عليها، مع أنها من الكفر الأصغر، لماذا؟ قلنا لأن هذه زواجر، السلفُ قالوا: اتركوها من غير تفصيل، اتركوها فإنها زواجر، فإذا فصلناها استهان بها الفساق والفجار استهانوا بها، ولكن اتركوها كما هي، من غير شرح ولا تفصيل، حتى تكون زواجر لأصحابها، حتى ينتهوا عما وقعوا فيه.

قَوْلُ النَّبِيِّ γ حين مطروا، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، فَأَمَّا الَّذِي يَقُولُ مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا؟ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ، وَالَّذِي يَقُولُ هَذَا رِزْقُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ».

الشيخ: هذا فيه تفصيل، والتفصيل مبني على: هل الاعتقاد في الذات أم الاعتقاد في السبب؟ إذا كان الاعتقاد في الذات، يعني في الكوكب، يعني في الريح، يعني في هذه الأمور، فهذا كفر أكبر، أما إذا كان في السبب يعني هي أسباب؛ فقل: هذه شرك أصغر، وهي وسيلة إلى الأكبر، فمن اعتقد في الذات يعني في نفس الكوكب، في نفس الكلب، في نفس البطة، في نفس هذه الأمور بذاتها هي تنفع وتضر بذاتها، إذن الاعتقاد في الذات كفر أكبر، أما كونها سبب فهذه من الشرك الأصغر وهي وسيلة إلى الشرك الأكبر، لذلك جاء الإسلام بباب سد الذرائع، ما هي الذرائع؟ هي الطرق الموصلة إلى الشر، جاء الإسلام بقطع هذه، لماذا؟ صونًا لحرمات الإسلام، وصونًا لجناب التوحيد، كما مر معنا في الحديث الذي جاء إلى النبي γ وقال يا رسول الله إني نذرت أن اذبح إبلًا ببُوَانَةَ، قال: «أكان فيها عيد من أعياد الجاهلية»؟ قال: لا، قال: «أكان فيها وثن يعبد؟» قال: لا، قال: «أوف بنذرك»، هذا كله من باب صون جناب التوحيد، إذن سد الذرائع هذه قاعدة فقهية إسلامية صحيحة، وليس هذا من باب التحريم المطلق، ولكن من باب قطع سبل الشر، انظر مثلا إلى الشريعة، عندما جاءت بصون الأعراض، الإسلام جاء بتحريم الاختلاط، عندما نهى الله سبحانه وتعالى أن يدخل الأطفال أو الصبيان على النساء لماذا؟ هل لعلة الوطء؟ هو طفل ولكنه مميز، يَصِفُ، إذن العلة هنا ليست علة الوطء أو غير ذلك ولكن علة الوصف، الطفل الصغير الذي يدخل على النساء ويعرف الحمراء من البيضاء هذا لا يدخل على النساء، لا يدخل أبدًا على النساء، طالما أنه يميز، طالما أنه يستطيع أن يصف، يقول هذه بيضاء، هذه حمراء، هذه طويلة، هذه قصيرة، هذا يُمنَع من الدخول على النساء لماذا؟ ما هي العلة؟ العلة هنا علة الوصف، سد الذرائع وقطع طرق الشر، إذن الإسلام جاء بهذا، إذا كان جاء بهذا في حفظ الأعراض، وصون الأُسَرِ، ما بالك بالتوحيد؟ ما بالك بعبادة الله سبحانه وتعالى؟ هذا من باب أولى.

وَقَوْلُهُ γ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»، وَقَوْلُهُ: «مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا» وَقَوْلُهُ: «مَنْ أَتَى سَاحِرًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، أَوْ أَتَى حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دبرها فقد بريء مما أنزل على محَمَّدٍ γ، أَوْ كَفَرَ بِمَا أُنزل عَلَى مُحَمَّدٍ γ».

الشيخ: وهذا أصغر كما قلنا ما لم يصدقه في ادعائه، يعني ادعائه علم الغيب، وقلنا قبل ذلك أن علم الغيب هذا هناك علم مطلق، وهناك علم نسبي، العلم المطلق ادعاؤه كفر، العلم المطلق هو الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، أما العلم النسبي هو الذي مثلا يعلمه الْمَلَك الموكّل بالأرحام، يعلم ما في الجنين، والآن في أجهزة تخبرك نوعية الجنين قبل حتى أن يكتمل، يقول لو أخبرنا به الطبيب نقول هذا علم غيب؟ نقول لا لأنه ليس غيبًا مطلقًا، ولكنه غيب نسبي، خرج من غيب الله سبحانه وتعالى إلى الخلق، فهذا إذا ادعى العلم بالغيب المطلق فقد كفر.

وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ: «سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». وَبَعْضُهُمْ يَرْفَعُهُ وَمِنَ النَّوْعِ الَّذِي فِيهِ ذِكْرُ الشِّرْكِ قَوْلُ النَّبِيِّ γ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء».

الشيخ: وقلنا أن الرياء إما يكون شركًا أكبر، وإما يكون شركًا أصغر، متى يكون الرياء شركًا أكبر؟ إذا كان في أصل الإسلام، كما بيّنّا وقلنا أن أهل النفاق دخلوا الإسلام رياء، ونطقوا بلا إله إلا الله رياء، فهذا كفر أكبر، إذن نفاق أكبر، هذا الرياء أكبر، متى يكون الرياء كفر أكبر ؟ إذا خالط أصل الإيمان، إذا دخل في الإسلام رياء نقول هذا لا يثبت له عقد الإسلام.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ -فِي التَّمَائِمِ وَالتِّوَلَةِ-: «إِنَّهَا مِنَ الشِّرْكِ».

الشيخ: التمائم هي أشياء تعلق بالرقبة، لدفع العين والحسد وغير ذلك، والتولة هي للصرف والعطف، الصرف يعني يصرف الرجل عن زوجته، أو يعطف الرجل على امرأة أخرى هذا نوع من أنواع السحر، وتكلمنا قبل ذلك وقلنا أن السحر على ثلاثة أنواع، سحر أكبر وهذا كفر، الذي يستعين بالجن ويسخره كلما ازداد الساحر قوة ازداد كفرا، وكلما ازداد كفرا ازداد قوة، وقلنا السحر بالأدوية المركبة لا فيه جن ولا غيره، أقول هذا محرم، يقول وهذا الشعوذة من النصب والاحتيال والتخيل، وغير ذلك، هذا يدخل في القسم الأول، إذن عند التفصيل لا بد أن تفصل في هذه الأنواع الثلاثة، أما عند الإطلاق فتقول الساحر كافر، هكذا، ولكن لا بد لطالب العلم أن يقف على هذه التفاصيل حتى إذا قابلته في واقع حياته يستطيع عنده علم أن يميز، أهذا ساحر يستعين بالجن والسحرة ويكفر بغير ذلك، أم هو من باب الأدوية والتركيبات، أم هو من باب النصب والاحتيال والتخيل وغير ذلك؟ لا بد هذا يفصل فيه.

وَقَوْلُ ابن عباس: «إن القوم يشركون بكلبهم! يقُولُونَ كَلْبُنَا يَحْرُسُنَا، وَلَوْلَا كَلْبُنَا لَسُرِقْنَا».

الشيخ: هذا مر معنا إذا كان التأثير بالذات أو التأثير بالسبب.

فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْحَدِيثِ، قَدْ كَانَ النَّاسُ فِيهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنَ التَّأْوِيلِ: فَطَائِفَةٌ: تَذْهَبُ إِلَى كُفْرِ النِّعْمَة.

الشيخ: هذا تأويل باطل، لأن كفر النعمة يكون بالجحد.

وَثَانِيةٌ: تَحْمِلُهَا عَلَى التَّغْلِيظِ وَالتَّرْهِيبِ.

الشيخ: اللي هي الإطلاقات كما قلنا يطلقها السلف هذا تحذيرًا وزجرًا وترهيبًا.

وَثَالِثَةٌ: تَجْعَلَهَا كفرَ أهلِ الرِّدَّةِ.

الشيخ: هذا مذهب أهل الغلو والخوارج، أهل الغلو والتوقف والتبين، وغيرهم من أهل الضلال الذين يكفرون بالمعاصي والكبائر التي هي دون الكفر والشرك.

وَرَابِعَةٌ: تُذْهِبُهَا كُلَّهَا، وَتَرُدُّهَا. فَكُلُّ هَذِهِ الْوُجُوهِ عِنْدَنَا مردودةٌ غَيْرُ مقبولةٍ، لِمَا يَدْخُلُهَا مِنَ الْخَلَلِ وَالْفَسَادِ، وَالَّذِي يردُّ الْمَذْهَبَ الْأَوَّلَ.

الشيخ: يعني هو قول بعض المرجئة والإباضية من فرق الخوارج.

مَا نعرفه من كلام العرب وَلُغَاتِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ كُفْرَانَ النِّعَمِ إِلَّا بِالْجَحْدِ لِأَنْعَامِ اللَّهِ وَآلَائِهِ، وَهُوَ كَالْمُخْبِرِ عَلَى نَفْسِهِ بِالْعُدْمِ، وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ لَهُ الثَّرْوَةَ، أَوْ بِالْسَقَمِ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالسَّلَامَةِ وَكَذَلِكَ مَا يَكُونُ مِنْ كِتْمَانِ الْمَحَاسِنِ وَنَشْرِ الْمَصَائِبِ، فَهَذَا الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ كُفْرَانًا إن كان ذلك فيما بينهما وَبَيْنَ اللَّهِ، أَوْ كَانَ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِذَا تَنَاكَرُوا اصْطِنَاعَ الْمَعْرُوفِ عِنْدَهُمْ وَتَجَاحَدُوهُ. يُنَبِّئُكَ عَنْ ذَلِكَ، مَقَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلنِّسَاءِ: «إِنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ -يَعْنِي: الزَّوْجَ- وَذَلِكَ أَنْ تَغْضَبَ إِحْدَاكُنَّ، فَتَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»، فَهَذَا مَا فِي كُفْرِ النِّعْمَةِ.

الشيخ: وهذا لا بد للرجل أن يكون عاقلا، دائما المرأة تقول هكذا، عندما تغضب المرأة لا تسمع لها، ولكن ارفق بها، هي هكذا، إذا أحسنت إليها الدهر كله ورأت منك شيئا، فتقول ما رأيت منك خيرًا قط، فأنت تكون عاقل، دائما تكون عقلك لا ينزل للمرأة، ودائما تمثل حياة النبي ﷺ مع أهله، كان يضحك وكان يتحمل، حتى عندما كان يشتد عليه الأمر، كان يمازح ولا يغضب، وإذا غضب يخرج من البيت، أنت هكذا، لا تقف أمام زوجتك وترد عليها وترد عليك، خليك عاقل، العقل دائما ميزك الله سبحانه وتعالى به، لك القوامة أنت، أحسن إلى هذه المرأة المسكينة، ودائما تذكر أن عقلها ضعيف، وكذلك قلبها ضعيف، وأنت رجل، فلا تتنزل إلى عقلها دائما، وتذكر قول النبي ﷺ: «خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، وكما قلنا الخيرية هذه يعني لا توفر لها الأكل والمشرب والمسكن وغير ذلك، لا، الخيرية أن تنجيها من الخلود في النار، الخيرية أن تعلمها التوحيد، الخيرية أن تعرفها أركان الإسلام والتوحيد والشرك

والإيمان والكفر، هذه هي الخيرية، كما ذكرنا كذلك في البر، بر الوالدين، من البر أن تحسن إليه وتسمع كلامه، وتعطيه مأكلًا ومشربا وتكرمه، هذا من البر، ولكن بر البر أن تنقذه من الخلود في النار، بر البر أن تعلمه التوحيد، أن تعرفه السنة، هذا هو البر الباقي، أما الأمنيات الفانية، هذه لا تكون أبدا عند المسلم، دائما المسلم يعلق هذه الأمنيات، بالأمنيات الباقية، التي هي عند الله سبحانه وتعالى لا تزول أبدا هذه الأمنيات، وهذه الأعمال الكبار، تكون دائما عينك على ما عند الله سبحانه وتعالى، فهذا نوع من البر وهذا نوع من الإحسان وهذا نوع من الخيرية، ولكن هناك أعلى.

وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّانِي: الْمَحْمُولُ على التغليظ، فمن أفظع ما تُأوِّل عَلَى رَسُولِ اللَّهِ γ وَأَصْحَابِهِ أَنْ جَعَلُوا الْخَبَرَ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ دِينِهِ وَعِيدًا لَا حَقِيقَةَ لَهُ. وَهَذَا يَؤُولُ إِلَى إِبْطَالِ الْعِقَابِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَمْكَنَ ذَلِكَ في واحدا مِنْهَا كَانَ مُمْكِنًا فِي الْعُقُوبَاتِ كُلِّهَا.

الشيخ: هل حان أذان العشاء يا إخوان؟ نعم. نعم. طيب نقف هنا عند باب الرد على الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي. نقف عند الثالث وهو باب الرد على هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بقي لنا في هذا بقي لنا في هذا الكتاب مجلس واحد، وهو إن شاء الله غدا يكون هذا المجلس الأخير، ثم فيه توزيع الجوائز والأسئلة التي كانت في آخر مقدمة في التوحيد، يسأل فيها إن شاء الله وتعمل فيها الجوائز غدا بإذن الله تبارك وتعالى، ونختم هذه الدورة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ربنا ويرضى، وأن يستعملنا في طاعته، وأن يرزقنا علما نافعا وعملا صالحا، هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المجلس الثالث

الشيخ: بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعن أصحابه الطيبين الطاهرين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد؛ فهذا هو المجلس الأخير، من مجالس شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى ورضي عنه، وهذا المجلس هو نهاية هذه الدورة العلمية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وإياكم بها، وقد توقفنا عند الرد على الخوارج الذين يكفِّرون بالمعاصي التي هي دون الكفر، وقبل أن نبدأ هذا الدرس الأخير، أو هذا المجلس الأخير، نود أن ننبه على بعض الأمور وهي:

وصايا لطالب العلم:

أولا: لا بد لطالب العلم أن يصحح النية في طلب العلم، لا بد أن تصحح هذه النية في طلبك للعلم، أن تكون النية خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، أن ترفع الجهل عن نفسك وتتعلم التوحيد، وتعمل به وتدعو إليه وتبذل حياتك في هذا، فهذا طريق الأنبياء.

ثم بعد ذلك بعد هذه النية، ألا تتحزب، ولا تتعصب، ولا تنتمي إلى أيّ فصيل أو أي جماعة أو أي حزب إلا أهل السنة والجماعة، فأنت مسلم، وهذا الإسلام دائرة واسعة كبيرة، فكل من يدخل فيها لا بد أن تستشعر أن له حقوقًا عليك، حقوق الإسلام، هذا لا بد، لا تتعصب ولا تتحزب، أنت من أهل السنة والجماعة، لست من جماعة كذا، أو من حزب كذا، أو من طائفة كذا، أو من الجماعة المقاتلة كذا، أو المجاهدة كذا، كل هؤلاء يعملون للإسلام، طالما أنهم يتفقون معك في التأصيل؛ في أصل التوحيد والرسالة، إذا كان هذا المسلم يتفق معك في التوحيد والرسالة، أصل الإسلام، أصل دين الإسلام، إذن تأكد أنه لا يخالفك، ولا يفارقك في هذا الأصل، إذن له أخوةُ الإسلام، تعامله بخلق الإسلام، لا بد أن تحرص على هذا، أنك تعامل الجميع بخلق الإسلام، المسلم والكافر المؤيد والمخالف، طالما أنك بعيد عن التحزب والتعصب والانتماء الضيق، لهذه الجماعات وهذه الأحزاب وهذه الطوائف، هذا الذي فرق الأمة، وهذا الذي شتتها ومزقها، وطمع الأعداء فيها، أنهم يستغلون جهل البعض، وضيق الأفق وقلة العقل، في نشر هذه الشبهات وهذه البدع، ثم يكبِّرُون هذا الخلاف حتى يجعلوه مفارقة، ويجعلونك تعادي أهل الإسلام بحجة أنك من أهل التوحيد والسنة، وهؤلاء من أهل الكفر والبدعة والشرك وغير ذلك، فلا بد أن تحرص أولا على جماعة أهل الإسلام، على جماعة المسلمين، ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾، هذا هو الأصل ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾، هذا هو الأصل، أنك دائما تتعصب إلى الحق، وتنتمي إلى الحق، كل هؤلاء الذين يعملون للإسلام في مجالات شتى، طالما أنهم لا يخالفونك في أصل التوحيد والرسالة فهم إخوانك، لهم حق الإسلام عليك، «المسلم أخو المسلم»، هذه وصية النبي ﷺ لك، «كونوا عباد الله إخوانا»، حتى تجتمع الأمة على أصل واحد، وهو التوحيد، توحيد الله سبحانه وتعالى، ﴿اعبدوا الله ما لكم من اله غيره﴾، والرسالة

الرسول γ، هذا هو الذي هو أحق بالإتباع المطلق، ما عداه يؤخذ منه ويرد، فإذن هذه لا بد أن تحرص عليها، وكل من خالفك في مسألة دائمًا التمس له العذر، طالما أنه كما قلنا لا يخالفك في أصل التوحيد والرسالة، يوافقك في التأصيل، ولكن يخالفك في التنزيل، وهذا وارد؛ لاختلاف النظر في النازلة في المناط، هذا وارد، والعلماء اختلفوا ولكنهم لم يفترقوا، إذن هذه الوصية الثانية.

الوصية الثالثة عندما تدعو إلى دين الله وإلى علمك الذي أنت تعلمت، لا بد أن تستصحب معك فقه الدعوة، وحكمة الدعوة، من الرفق بالآخر، أنك تحرص عليه دائمًا، أن ينتهي عما هو عليه، هذا الحرص لا بد أن ينبعث من قلب مخلص لله سبحانه وتعالى، يفرق دائما بين النصيحة وبين التعيير، لا بد أن هذه النصيحة خالصة، لا فيها وجه من وجوه التعيير ولا التنقيص ولا غير ذلك، لذلك الإمام ابن رجب الحنبلي عليه رحمة الله، له رسالة لطيفة جدا في هذا المعنى، الفرق بين النصيحة والتعيير، احرص على هذا، ترفق في دعوة أخيك، لا بد أن تستصحب الحلم، والعلم والحكمة والرحمة، في هذه الأمور، هذا مناط الدعوة يا إخوة، لا بد أن تحرص عليه، عندما تتكلم مع المخالف تتكلم بمعنى الأخوة، وليس بمعنى أنه خصم لك، أو عدو لك ، أو مفارق لك، هذا يحرمك من التوفيق، ويحرمك من أن تكون ممن قال فيهم النبي γ: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها، خير لك من حمر النعم»، فاحرص على هذا، «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، عندما تتكلم في مجال الدعوة لا بد أن تكون منشرح الصدر، لأنك هنا في مقام النبوة، أنت هنا مبلغ عن الله وعن رسوله γ، فلا بد أن تكون هذه الحكمة وهذه الرحمة، لا بد هذا، هو الأصل في دعوتك.

رابعا: لا بد وأن تتفقد قلبك دائما، وإذا تعلمت علمًا ولم تجد لهذا العلم أثرًا في عبادتك مع الله سبحانه وتعالى فقف، توقف، هذا العلم الذي أنا أبذل فيه الوقت والجهد والمال، لا أجد له في قلبي أثرا، من قيام الليل ومن خلوة ومن قراءة قرآن ومن بكاء من خشية الله، ومن رحمة بالناس، هذا لا أجد له فيه أثر، إذ القلب يقسو، والعكس أنه يرق، ﴿الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾، إذا عندما تتلو القرآن يجِل القلب، يوجل القلب يخشع، لا تجد هذه الخشية وهذا الخشوع، إذن تفقد قلبك، وربما أنت على معصية حرمت بها من هذا، لأن الأصل من العلم العمل، فلا بد أن تتفقد هذه الأمور وتراجع نفسك دائما.

خامساً: ثم دائما كل ما أشكل عليك لا تستقل له بالفهم، وهذه الوصية الخامسة والأخيرة، عدم الاستقلال بالفهم بعيدا عن السلف الصالح، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إياك ثم إياك أن تقرأ نصًا أو تقرأ آية أو حديثًا أو غير ذلك، أو كلام العلماء ثم تفهمه على مرادك أنت، دائما ارجع إلى فهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، دائما اتهم فهمك، اتهم هذا العقل، قل دائما هم أعلم مني، الصحابة هم أعلم الأمة، ماذا قالوا في هذه المسألة؟ عندما ترجع في الفهم إلى مرجع ثابت زكاه الله وزكاه النبي γ، وهم الصحابة إذن أنت على خير.

هذه وصايا لطالب العلم لا بد أن ينقاد، ولا بد أن يعمل بها في هذه الدنيا التي هي مليئة بالفتن وبالشبهات وبالشهوات، كيف تستعين على مصائب هذه الدنيا، إلا بالله سبحانه وتعالى، وبالعلم، وبالانتصاب بين يدي الله سبحانه وتعالى، والتضرع إليه أن يهديك وأن يجنبك الفتن ما ظهر منها وما بطن، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ربنا ويرضى.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أله وأصحابه ومن والاه، قال المؤلف رحمه الله:

وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّانِي: الْمَحْمُولُ على التغليظ فمن أفظع ما تُأوِّل عَلَى رَسُولِ اللَّهِ γ وَأَصْحَابِهِ أَنْ جَعَلُوا الْخَبَرَ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ دِينِهِ وَعِيدًا لَا حَقِيقَةَ لَهُ. وَهَذَا يَؤُولُ إِلَى إِبْطَالِ الْعِقَابِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَمْكَنَ ذَلِكَ في واحدا مِنْهَا كَانَ مُمْكِنًا فِي الْعُقُوبَاتِ كُلِّهَا، وَأَمَّا الثالث: الذي بلغ به كُفْرَ الرِّدَّةِ نَفْسِهَا فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ مَذْهَبُ الْخَوَارِجِ؛ الَّذِينَ مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ بِالتَّأْوِيلِ، فَكَفَّرُوا النَّاسَ بِصِغَارِ الذُّنُوبِ وَكِبَارِهَا، وَقَدْ علمتَ مَا وَصَفَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ γ مِنَ الْمُرُوقِ وَمَا أَذِنَ فيهم من سفك دمائهم ثُمَّ قَدْ وَجَدْنَا اللَّهَ يُكَذِّبُ مَقَالَتَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَكَمَ فِي السَّارِقِ بِقَطْعِ الْيَدِ وَفِي الزَّانِي وَالْقَاذِفِ بِالْجَلْدِ، وَلَوْ كَانَ الذَّنْبُ يكفرُ صَاحِبهُ مَا كَانَ الْحُكْمُ عَلَى هَؤُلَاءِ إِلَّا الْقَتْلُ؛ لِأَنَّ رسول الله γ قال: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، أفلا ترى أنهم لو كانوا كفارا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد؟

الشيخ: إذن ما هو الدليل المجمل؟ على الرد على الخوارج، لأنه كما تعلمنا وقلنا أن هناك رد مجمل ورد مفصل، يعني رد مجمل للشبهة من أصلها، ثم بعد ذلك تأتي بالرد المفصل، فما هو الرد المجمل؟ أن الله سبحانه وتعالى والنبي γ جعلوا هذه العقوبات وهذه الكفارات دليلًا على أنهم من أهل الإيمان والإسلام، ولو كان هذا كما تقول الخوارج وأهل الغلو لقتلهم النبي γ، ولم يجلدهم ولم يعزرهم ولم يعاقبهم دون القتل، هذا هو الرد المجمل لشبهة أهل الغلو الذين يكفرون أهل الإسلام بالذنوب والمعاصي والكبائر التي هي دون الشرك الأكبر.

وكذلك قول الله في من قُتِلَ مَظْلُومًا: ﴿فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، فَلَوْ كَانَ الْقَتْلُ كُفْرًا مَا كَانَ لِلْوَلِيِّ عَفْوٌ وَلَا أَخْذُ دِيَةً، وَلَزِمَهُ الْقَتْلُ.

الشيخ: لأن هنا القتل كبيرة من الكبائر، ليست كفرا، لذلك جعل فيها الله سبحانه وتعالى إما العفو، وإما الدية، وإما القصاص، فلو كان القتل كفرا ما كان إلا القتل.

أَمَّا الْقَوْلُ الرَّابِعُ الَّذِي فِيهِ تَضْعِيفُ هذه الْآثَارِ، فَلَيْسَ مَذْهَبَ مَنْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ، فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، إِنَّمَا هُوَ احْتِجَاجُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ والبدع؛ الذين قصر عملهم عَنِ الِاتِّسَاعِ، وَعَيِيَتْ أَذْهَانُهُمْ عَنْ وُجُوهِهَا، فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا: مُتَنَاقِضَةٌ. فَأَبْطَلُوهَا كُلَّهَا.

الشيخ: لماذا؟ لأنهم كانوا يقولون أن هذه الآثار أخبار آحاد، فلا يحتج بها في مسائل الاعتقاد، هم كانوا يقولون هكذا، أو هذه آثار ضعيفة لا تثبت، إذن هذه كانت طرق أهل الضلال في عدم الاستدلال بنصوص الوحيين، وكما مر معنا أن العبرة بثبوت

الحديث عن النبي γ، إذا ثبت الحديث وصح وجب العمل به، سواء كان في العقائد في الأحكام، سواء كان خبر أحاد متواتر، هذا كله لا يلتفت إليه، فقط يلتفت إلى هل ثبت الحديث عن النبي γ، إذا ثبت وجب العمل به، أما هؤلاء عييت قلوبهم وأفهامهم عن استيعاب نصوص الوحيين، فردوها بهذا، ردوها إما بأنها أخبار أحاد، أو ردوها بأنها ضعيفة لا تثبت، وهذا ليس من اختصاصهم، ولا في قدرتهم، فعلم الحديث وعلم الرجال ومعرفتهم هذا لا يطال أهل الغلو، أو أهل البدع، لا، هم أقل من هذا.

وَإِنَّ الَّذِي عِنْدَنَا فِي هَذَا الْبَابِ كُلِّهِ أَنَّ الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ لَا تُزِيلُ إِيمَانًا، وَلَا تُوجِبُ كُفْرًا، وَلَكِنَّهَا إِنَّمَا تَنْفِي مِنَ الْإِيمَانِ حَقِيقَتَهُ وَإِخْلَاصَهُ الَّذِي نَعَتَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَهُ، وَاشْتَرَطَهُ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿التّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السّائِحُونَ الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢ - ١١٣].

الشيخ: إذن اشترط في المؤمن الكامل أن يؤدي الواجبات، هذا هو المؤمن الكامل، يؤدي الواجبات ويترك المحرمات، طيب إذا وقع في هذه يكون مؤمنًا ناقصَ الإيمان، مر معنا أن الإيمان يزيد وينقص، هذا هو الأصل، طالما أن معه أصل الإيمان، لم ينقض أصل الإيمان، إذن ما عدا ذلك فهو كبائر وذنوب، إذا أتى بها جميعًا فهو كامل الإيمان، إذا انتقص منها شيء فهو ناقص الإيمان، فَوَّتَ الكمال، ولكن معه الأصل.

وَقَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ، أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

الشيخ: كل هذه أوصاف المؤمنين الكُمَّل، التي هي وصف كمال الإيمان، هذا هو الأصل

وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ، أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: فَهَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي شَرَحَتْ وَأَبَانَتْ شَرَائِعَهُ الْمَفْرُوضَةَ عَلَى أَهْلِهِ وَنَفَتْ عَنْهُ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا، ثُمَّ فَسَّرَتْهُ السُّنَّةُ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا خِلَالُ الْإِيمَانِ.

الشيخ: خلال الإيمان يعني خصال الإيمان.

فِي الْبَابِ الَّذِي فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، فَلَمَّا خَالَطَتْ هَذِهِ الْمَعَاصِي هَذَا الْإِيمَانَ الْمَنْعُوتَ بِغَيْرِهَا قِيلَ: لَيْسَ هَذَا مِنَ الشَّرَائِطِ الَّتِي أَخَذَهَا اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْأَمَانَاتِ الَّتِي يُعرف بِهَا أَنَّهُ الْإِيمَانُ فَنَفَتْ عَنْهُمْ حِينَئِذٍ حَقِيقَتَهُ وَلَمْ يَزُلْ عَنْهُمُ اسْمُهُ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَاسْمُ الْإِيمَانِ غَيْرُ زَائِلٍ عَنْهُ.

الشيخ: لأن هذا يدخل معنا في حديث من لم يعملوا خيرًا قط، فقالوا كيف لم يعملوا خيرا قط، ودخلوا الجنة؟! نقول هذا على نفي الكمال، لم يعملوا خيرا قط يعني لم يعملوا أي عمل أيًا كان، نقول هذا عند العرب، على الكمال، أنك لم تغن عنه شيئًا، ألا ترى حديث النبي γ في الرجل المسيء صلاته، قال ارجع فصل فإنك لم تصل، فرجع الرجل، ثم أتى النبي γ فقال ارجع فصل فإنك لم تصل، وهو صلى، ولكنه ليس على وجه الكمال، هذا هو معنى لم يعملوا خيرًا قط، وهذا الحديث كان شبهة لأهل الإرجاء، الذين دخلت عليهم شبهة الإرجاء، فقالوا نعم هؤلاء لم يعملوا خيرًا قط، لا أصل إيمان ولا إيمان الواجب ولا غير ذلك ودخلوا الجنة، نقول لا، ليس هذا هو المقصود، هؤلاء معهم الأصل، ولكنه تخلف عنهم الكمال، فكأنهم لم يعملوا، ألا ترى أن الرجل يبعث أخاه في هذه المسألة، ثم يقول كذا وكذا فيرجع إليه، فيقول ما عملت قط شيئًا، كأنك لم تفعل شيئًا، وكذلك حديث المرأة تحسن إليها الدهر كله فتقول ما أحسنت إليّ قط، إذن هذه عند العرب على نفي الكمال، وليس نفي الأصل.

قِيلَ: هَذَا كَلَامُ الْعَرَبِ الْمُسْتَفِيضُ عِنْدَنَا غَيْرُ الْمُسْتَنْكَرِ فِي إِزَالَةِ الْعَمَلِ عَنْ عَامِلِهِ، إِذَا كَانَ عملُه عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلصَّانِعِ إِذَا كَانَ لَيْسَ بمحكمٍ لِعَمَلِهِ: مَا صنعتَ شَيْئًا.

الشيخ: إذن هو يعمل الصنعة، ولكن لم يعملها على الوجه المطلوب الذي قيل له، أنت الآن تذهب بالسيارة عند الرجل تطلب منه أن تفعل كذا وكذا، هو عمل، ولكن لم يعمل مثل ما أنت طلبت، تقول: أنت لم تفعل شيئا، يعني ما زال الذي أنا طلبته منك لم تأتِ به، وهو عمل، إذن هذا عند كلام العرب على نفي التجويد والتحسين، هذا النفي لم يعملوا خيرا قط، على نفي التجويد والتحسين، يعني جودة العمل وإحسانه، وليس على نفي الأصل، حتى تعرف مداخل الشبهات عند أهل البدع.

وَلَا عَمِلْتَ عَمَلًا، وَإِنَّمَا وَقَعَ مَعْنَاهُمْ هَاهُنَا [عَلَى] نَفْيِ التَّجْوِيدِ، لَا عَلَى الصَّنْعَةِ نَفْسِهَا، فَهُوَ عِنْدَهُمْ عَامِلٌ بِالِاسْمِ، وَغَيْرُ عَامِلٍ فِي الْإِتْقَانِ، حَتَّى تَكَلَّمُوا بِهِ فِيمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا وذلك كرجل يعق أَبَاهُ، وَيَبْلُغُ مِنْهُ الْأَذَى، فَيُقَالُ: مَا هُوَ بولدٍ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ ابْنُ صُلْبِهِ.

الشيخ: هذا يحدث في كلام الناس، يقول هذا ليس بابنك هذا.

ثُمَّ يُقَالُ مِثْلُهُ فِي الْأَخِ، وَالزَّوْجَةِ، وَالْمَمْلُوكِ. وَإِنَّمَا مذهبهم في هذا المزايلة من الأعمال الْوَاجِبَةُ عَلَيْهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْبِرِّ. وَأَمَّا النِّكَاحُ والرق والأنساب، فعلى ما كانت عليه أمكانها وَأَسْمَاؤُهَا. فَكَذَلِكَ هَذِهِ الذُّنُوبُ الَّتِي يُنْفَى بِهَا الْإِيمَانُ، إِنَّمَا أَحْبَطَتِ الْحَقَائِقُ مِنْهُ الشَّرَائِعَ الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِهِ، فَأَمَّا الْأَسْمَاءُ فَعَلَى مَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا يُقَالُ لَهُمْ إِلَّا: مُؤْمِنُونَ، وَبِهِ الْحُكْمُ عَلَيْهِمْ.

الشيخ: ألا ترى أن في حديث الجهنميين الذين يخرجون من جهنم، بعد أن احتمشت أجسادهم وجلودهم، ثم يخرجون، ويقول أَخرِجُوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، أو من قال لا إله إلا الله، يخرجونهم بماذا؟ [بآثار السجود نعم بالسجود هذا

السجود ماذا؟ عمل، إذن هذا الحديث فيه أركان الإيمان الثلاثة، القول والاعتقاد والعمل، إذن الصلاة عمل، عملوا أم لم يعملوا، وهم دخلوا جهنم، وخرجوا منها، ولا يخرج من النار إلا أهل الإسلام، فخروجهم من النار دل على أنهم لم ينقضوا الأصل، أصل التوحيد والرسالة، إذن هم باقون على الأصل، وهذه الأعمال التي كانوا يعملونها، كانوا يعملونها على غير الكمال والتجويد والإحسان، فلم تقبل منهم، ربما يكون فيها رياء، وهذا الرياء الذي يصاحب أصل الإيمان، إذا خالط الرياء العمل المفرد، بعد أصل الإيمان فالعمل هو يحبط، العمل مصاحب برياء يحبط، أما أصل الإيمان ثابت، لأنه دخل فيه بالإخلاص، هذا هكذا، له أوجه كثيرة جدا في هذه المسألة، إنما لا يقال أنهم لم يعملوا قط، جنس العمل يعني، كما يقول أهل الإرجاء، نقول هذا خطأ، لا يقال أبدًا هذا، ولكن يقال على معنى التجويد والكمال والتحسين.

وَقَدْ وَجَدْنَا مَعَ هَذَا شَوَاهِدَ لِقَوْلِنَا مِنَ التَّنْزِيلِ وَالسُّنَّةِ. فَأَمَّا التَّنْزِيلُ فَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، حِينَ قَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْول، عَنِ الشَّعْبِيِّ: - فِي هَذِهِ الْآيَةِ - قَالَ: أَمَا إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَلَكِنْ نَبَذُوا الْعَمَلَ بِه، ثم أحل لله لَنَا ذَبَائِحَهُمْ وَنِكَاحَ نِسَائِهِمْ فَحَكَمَ لَهُمْ بِحُكْمِ الْكِتَابِ إِذَا كَانُوا بِهِ مُقِرِّينَ، وَلَهُ مُنْتَحِلِينَ، فَهُمْ بِالْأَحْكَامِ وَالْأَسْمَاءِ فِي الْكِتَابِ دَاخِلُونَ، وَهُمْ لَهَا بِالْحَقَائِقِ مُفَارِقُونَ، فَهَذَا مَا فِي الْقُرْآنِ.

الشيخ: إذن أهل الكتاب، الله سبحانه وتعالى مع علمه سبحانه بما هم عليه من كفر وشرك إلا أنه أحل لنا ذبائحهم، الذي يذبحونها بيديهم، وأحل لنا نساءهم، ولكن اشترط في هذا، أن يكون أولا النكاح من الحرائر العفيفات الغير متخذات أخدان، هذه أولا، ثانيا أن الذبائح هذه تذبح بالطرق المزكاة، أما عندما تقول نحن لا نأكل اللحوم المستوردة، أو التي تأتينا من أوروبا وغير ذلك، نقول العلة هنا ليست في الذابح، فالذابح أحل الله لك ذبيحته، ولكن العلة في طريقة الذبح، يذبحون بالطُّرُقِ بالكهرباء بغير ذلك، هذه الطريقة غير شرعية، أما هو بيده فهو حلال، مع أن الله يعلم ما هم عليه من كفر وشرك، حتى لا يتنطع متنطع من أهل الغلو، يقول هذه كفر، الله سبحانه وتعالى أنت الآن عقِّبْ على الله سبحانه وتعالى!

أَمَّا السُّنَّةُ، فَحَدِيثُ النَّبِيِّ γ الَّذِي يُحَدِّثُ بِهِ رِفَاعَةُ: فِي الْأَعْرَابِيِّ الذي صلى صلاة، فخففها فقال لَهُ رَسُولُ اللَّهِ γ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» حَتَّى فَعَلَهَا مِرَارًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «فَصَلِّ» وَهُوَ قَدْ رَآهُ يُصَلِّيهَا، أَفَلَسْتَ تَرَى أَنَّهُ مُصَلٍّ بِالِاسْمِ، وَغَيْرُ مُصَلٍّ بِالْحَقِيقَةِ. وَكَذَلِكَ فِي الْمَرْأَةِ الْعَاصِيَةِ لِزَوْجِهَا، وَالْعَبْدِ الْآبِقِ، وَالْمُصَلِّي بِالْقَوْمِ الْكَارِهِينَ لَهُ إِنَّهَا غَيْرُ مَقْبُولَةٍ.

الشيخ: يعني الصلاة.

ومنه حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر: في شارب الخمر أنه لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

الشيخ: مع أنه يصلي، ولكن حُرِمَ الأجر، وهذا الذي يقال فيه الذين خرجوا من النار، عَمِلوا أعمالًا، ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى لم تُقبَل منهم، جعلها هباء منثورا، إذن عملوا، ولكن ليس على التجويد والتحسين والكمال.

وَقَوْلُ عَلِيٍّ: «لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ».

الشيخ: هذا الفرق بين الاسم الظاهر، والحقيقة المجزأة منه، الاسم الظاهر أنه مصلي، ولكن في الحقيقة هذه لا تجزئه، فلا بد أن يأتي بها لبراءة ذمته بها، وإن لم يأت فهو لم يأت بأصل الصلاة.

وَحَدِيثُ عُمَرَ: فِي الْمُقَدِّمِ ثَقَلَهُ لَيْلَةَ النَّفْرِ أَنَّهُ: «لَا حَجَّ لَهُ»، وَقَالَ حُذَيْفَةُ: «مَنْ تَأَمَّلَ خَلْقَ امرأةٍ مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ وَهُوَ صَائِمٌ أبطل صومه»، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: فَهَذِهِ الْآثَارُ كُلُّهَا وَمَا كَانَ مُضَاهِيًا لَهَا فَهُوَ عِنْدِي عَلَى مَا فسرتُه لَكَ.

الشيخ: من الأصناف الأربعة التي رويت معانيها في أول الكتاب صفحة ثلاثة وثمانين.

وَكَذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الَّتِي فِيهَا الْبَرَاءَةُ، فَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ: «مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَلَيْسَ مِنَّا». لَا نَرَى شَيْئًا مِنْهَا يَكُونُ مَعْنَاهُ التَّبَرُّؤُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ γ وَلَا مِنْ مِلَّتِهِ، إِنَّمَا مَذْهَبُهُ عِنْدَنَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُطِيعِينَ لَنَا، وَلَا مِنَ الْمُقْتَدِينَ بِنَا، وَلَا مِنَ الْمُحَافِظِينَ عَلَى شَرَائِعِنَا وَهَذِهِ النُّعُوتُ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَقَدْ كَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ: «لَيْسَ مِنَّا»: لَيْسَ مِثْلَنَا، وَكَانَ يَرْوِيهِ عَنْ غَيْرِهِ أَيْضًا.

الشيخ: والأصل كما قلنا أن هذه النصوص هي زواجر، فتترك كما هي، لا تفصِّلْهَا.

فَهَذَا التَّأْوِيلُ وَإِنْ كَانَ الَّذِي قَالَهُ إِمَامٌ من أئمة العلم، فَإِنِّي لَا أَرَاهُ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ إِذَا جَعَلَ مَن فَعَلَ ذَلِكَ لَيْسَ مِثْلَ النَّبِيِّ γ، لَزِمَهُ أَنْ يَصِيرَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِثْلَ النَّبِيِّ γ، وَإِلَّا فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْفَاعِلَ وَالتَّارِكِ، وَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ γ عَدِيلٌ وَلَا مَثَلٌ مِنْ فَاعِلِ ذَلِكَ وَلَا تَارِكِهِ.

الشيخ: هذا تكلمنا عنه في مسألة التفاضل.

فَهَذَا مَا فِي نَفْيِ الْإِيمَانِ وَفِي الْبَرَاءَةِ مِنَ النَّبِيِّ γ إِنَّمَا أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ وَإِلَيْهِ يَؤُولُ.

الشيخ: لما يقول النبي ليس منا، ليست هذه البراءة المطلقة، النبي يتبرأ من هذا، لا، ولكن هو من فعله، من هديه، من غير ذلك من الأمور.

وَأَمَّا الْآثَارُ الْمَرْوِيَّاتُ بِذِكْرِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَوُجُوبِهِمَا بِالْمَعَاصِي، فَإِنَّ مَعْنَاهَا عِنْدَنَا لَيْسَتْ تُثْبِت عَلَى أَهْلِهَا كُفْرًا وَلَا شِرْكًا يُزِيلَانِ الْإِيمَانَ عَنْ صَاحِبِهِ، إِنَّمَا وُجُوهُهَا: أَنَّهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالسُّنَنِ الَّتِي عَلَيْهَا الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ، وَقَدْ وَجَدْنَا لِهَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الدَّلَائِلِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ نَحْوًا مِمَّا وَجَدْنَا في النوعين الأولين. فَمِنَ الشَّاهِدِ عَلَى الشِّرْكِ فِي التَّنْزِيلِ: قَوْلُ اللَّهِ فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ عِنْدَ كَلَامِ إِبْلِيسَ إِيَّاهُمَا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها فَلَمّا تَغَشّاها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ إلى ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما﴾ [الأعراف: ١٨٩ و ١٩٠]، وَإِنَّمَا هُوَ فِي التَّأْوِيلِ

أَنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ لَهُمَا: سَمِّيَا وَلَدَكُمَا عَبْدَ الْحَارِثِ، فَهَلْ لِأَحَدٍ يعرف الله ودينه يُتَوَهَّمُ عَلَيْهِمَا الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَالْمَكَانِ مِنَ اللَّهِ، فَقَدْ سَمَّى فِعْلَهُمَا شِرْكًا، وَلَيْسَ هُوَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ.

الشيخ: إذن الأنبياء هم أهل الاصطفاء والاجتباء، لذلك اصطفاهم الله سبحانه وتعالى واجتباهم واختارهم، إذن يستحيل على الأنبياء الشرك والكفر، هذا في الأصل، وكذلك يستحيل عليهم الكبائر، والمعاصي التي هي كبائر كالكذب وغير ذلك من الأمور، أما تقع منهم المعاصي التى هي الصغائر؟ تقع، ولكن لا يصرّون عليها، وهذا هو الموافق للاصطفاء والاجتباء، عندما تأتيك الشبهة عن نبيٍّ من الأنبياء يُتَوَهّم من هذه الشبهة أنه وقع في الشرك، أو وقع في الكفر، قل هذا لا يكون أبدًا لأن الله سبحانه وتعالى عندما أختار الأنبياء اختارهم واصطفاهم واجتباهم لحمل هذه الرسالة، فالاصطفاء والاجتباء ينافي الوقوع في الشرك والكبائر. وعدم الإصرار على الصغائر

فَقَوْلُ النَّبِيِّ γ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، فَقَدْ فَسَّرَ لَكَ بِقَوْلِهِ «الْأَصْغَرُ» أَنَّ هَاهُنَا شِرْكًا سِوَى الَّذِي يَكُونُ بِهِ صَاحِبُهُ مُشْرِكًا بِاللَّهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ: «الرِّبَا بِضْعَةٌ وَسِتُّونَ بَابًا، وَالشِّرْكُ مِثْلُ ذَلِكَ»، فَقَدْ أَخْبَرَكَ أَنَّ في الذنوب أنواعا كثيرة تسمى بهذا الِاسْمِ، وَهِيَ غَيْرُ الْإِشْرَاكِ الَّتِي يُتَّخَذُ لَهَا مع الله إله غَيْرَهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَلَيْسَ لِهَذِهِ الْأَبْوَابِ عِنْدَنَا وُجُوهٌ إِلَّا أَنَّهَا أَخْلَاقُ الْمُشْرِكِينَ، وَتَسْمِيَتُهُمْ، وَسُنَنُهُمْ، وَأَلْفَاظُهُمْ، وَأَحْكَامُهُمْ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ. وَأَمَّا الْفُرْقَانُ الشَّاهِدُ عَلَيْهِ في التنزيل، فقول الله جل وعز: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

الشيخ: هذا على التفصيل الذي مر معنا في أنواع الحكام، وقلنا هذه لا بد فيها من التفصيل، وعندنا ألفاظ جاءت في السنة بالشرك والكفر، هذا من باب التغليظ، ومن باب التشديد، ومعصية سماها الله شركًا أعظم من معصية لم يسمها الله شركًا، وإن كان شركًا أصغر، ولكن معصية سماها الله شركا، اِعْلَمْ أنها هي أعظم من معصية وأكبر من معصية لم يسمها الله شركًا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ»، وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أبي رباح: «كفر دون كفر»، فَقَدْ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ لَيْسَ بِنَاقِلٍ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الدِّينَ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ

الشيخ: هذا يقال في من؟ في أي نوع من الأنواع؟ المسلم الجائر، ولا يقال هذا في المؤمن الراشد، ولا يقال هذا في الكافر المرتد.

وَإِنْ خَالَطَهُ ذُنُوبٌ، فَلَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا خِلَافُ الْكُفَّارِ وَسُنَّتِهِمْ، عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ مِنَ الشِّرْكِ سَوَاءً؛ لِأَنَّ مِنْ سُنَنِ الْكُفَّارِ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

الشيخ: كل جاهلية، يعني كل معصية أو كل حكم يخالف شرع الله هو من أحكام الجاهلية، والجاهلية هي كل ما يخالف الإسلام، وهناك جاهلية مطلقة، وهناك جاهلية نسبية، بمعنى: الجاهلية المطلقة هي كانت قبل رسالة محمد γ هذه الجاهلية المطلقة،

والجاهلية المقيدة ما نراه الآن في واقع المسلمين، من المعاصي، ومن الكفر، ومن الشرك، نقول هذه جاهلية مقيدة، لا يطلق حكم الجاهلية العام على المعنى الأول على المجتمعات المسلمة، هذا لا يكون أبدًا، وهذا فيه غلوّ، وفيه شطط، وفيه تكفير لأهل القبلة، وهذا ليس من مذهب أهل السنة، ولكن نعم الجاهلية هي كل ما يخالف الإسلام، ولكن هذه المخالفة إما تكون كفرًا، وإما تكون دون ذلك.

تَأْوِيلُهُ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ أَنَّ مَن حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَهُوَ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ كَانَ بِذَلِكَ الْحُكْمِ كَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَذَلِكَ كَانُوا يَحْكُمُونَ. وَهَكَذَا قَوْلُهُ: «ثَلَاثَةٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ والنياحة والأنواء».

الشيخ: الطعن يعني العيب في الأنساب وتنقيصها، وغير ذلك.

وَمِثْلُهُ، الْحَدِيثُ الَّذِي يُرْوَى عَنْ جَرِيرٍ وَأَبِي الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيِّ: «ثَلَاثَةٌ مِنْ سُنَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ: النِّيَاحَةُ، وَصَنْعَةُ الطَّعَامِ، وَأَنْ تَبِيتَ الْمَرْأَةُ فِي أَهْلِ الْمَيِّتِ مِنْ غَيْرِهِمْ».

الشيخ: الأصل في المرأة الستر، كانوا زمان عندما يموت ميت كانوا يستأجرون النائحة، يعني كما يقولون من باب إسعاد أهل الميت، إسعاد يعني مساعدتهم في البكاء، حتى يقولون النائحة الثكلى ليست كالمستأجرة، النائحة الثكلى يعني التي تبكي على ميت لها، أبوها زوجها أخوها ابنها غير ذلك، ليست كالمستأجرة، يعني بكاء هذه ليس بكاء كالنائحة المستأجرة، التي يدفع لها أموال ويقال لها تعالي ابكي معنا وهكذا، وطبعا من أعمال الجاهلية.

وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ [ثَلَاثٌ]: إِذَا حدَّث كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»، وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ: «الْغِنَاءُ ينبت النفاق في القلب».

الشيخ: الغناء معلوم عند طلبة العلم أنه محرم، ولكن ما هو الغناء الذي يتكلم عنه بعض من ينتسبون للعلم، ويقولون لا شيء فيه، نقول الغناء هذا هو ثلاثة أمور: أولا الغناء ككلام، الغناء هذا إما هو كلام أو مصاحبه موسيقى، فالكلام هو حسنه حسن، وقبيحه قبيح، هذا الأصل، وهذا الكلام الحسن أو القبيح إذا صاحبته موسيقى فهو محرم، إذن الغناء الغير مصاحب للموسيقى إذا كان قبيحًا فهو قبيح، وهذا الغناء سواء كان حسنا أو قبيحا صاحبته موسيقى فهو محرم، إذن الموسيقى حرام، ليس في هذا اختلاف، الاختلاف في ماذا؟ يقولون في الغناء، نقول: هذا من التلبيس لماذا؟ لأنكم تعرفون الغناء في واقعنا، أنكم ما ترونه من مصاحبة الآلات الموسيقية، والنساء، والاختلاط، وغير ذلك من الأمور، إذن لا يطلق هذا على ما نراه الآن، طيب أنا لا أسمع الموسيقى وأتجنب وأعرف هذا جيدا، ولكن يعني أسمع الأناشيد، نقول هناك فرق بين الغناء والأناشيد والحداء، فقلنا الغناء سواء بهذا أو بموسيقى فهو محرم، والأناشيد إذا كانت كلمات تحث على فضائل الأخلاق، ومكارم الأخلاق، والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، فهذا أمر حسن ما لم يصاحبها إيقاعات، البعض الآن من باب المسايرة في الواقع نقول ندخل عليها بعض الإيقاعات تشبه الموسيقى يعني، بعض الإيقاعات، بعض الآهات، وغير ذلك هذا كله لا يجوز، ولكن هذه الأناشيد

مجردة من الإيقاعات ومن الآهات وغير ذلك من المؤثرات، نقول إذا كان هذا فلا بأس بها، ما لم تلهك عن واجب، بعض الإخوة أربعة وعشرين ساعة يشتغل أناشيد حماسية، وجهاد ودعوة وزهد ورقائق، وبعدين؟! يعني ما هو كله أناشيد ما هو كله هكذا، فلا بد من الاقتصاد في هذا، لأنك الآن أنت تحاول تغطي على القرآن بهذه الأناشيد، نقول: لا، لا بد أن تضبط هذه المسألة، نعم هي تحث وغير ذلك ولكن ليست في كل وقت، إذا سلمت من المؤثرات الصوتية، طيب بقي لنا الحداء، ما هو الحداء؟ الحداء كلام يحث على الجهاد، كان الصحابة يفعلونه بين يدي النبي γ، في قصة عامر بن الأكوع، عندما كان يحدو للنبي γ وهم ذاهبون إلى الجهاد، وما أحلى هذه الأيام، عندما تسير إلى الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، وأنت بين الأخوة وهم يحدون هذه الكلمات، التي تحثهم على الجهاد، وتقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، هذا يشرح الصدر، هذا كأنك في السماء تطير في السماء من هذا، فهذا عامر رضي الله عنه كان يحدو، الحداء خلاف الأناشيد وخلاف الغناء، يبقى عندنا في مسألة السماح كم ثلاثة، الغناء بنوعيه، والأناشيد بضابطها، والحداء، فالنبي γ بعد أن قال لعامر : وجبت. قال لمن؟ قال لعامر، قال وجبت، فقال يعني عمر فهم هذا، قال يا رسول الله هلا متعتنا به، انظر يمتعه بماذا؟ ليس بغناء ولا بأناشيد، بحداء، حداء كلام جميل يحثه على الجهاد، يحثه على الجنة ويحثه على السير إلى الله يقول هلا متعتنا به، يعني كأن عمر رضي الله عنه يستمتع بهذا الحداء الذي يقربه إلى الله سبحانه وتعالى، وتعلمون أن الشهادة في سبيل الله والجهاد في سبيل الله هو أقصر الطرق إلى الجنة، الجهاد والاستشهاد في سبيل الله هو أقصر الطرق إلى الجنة، نعم ليس هو الطريق الوحيد، وليس هو الباب الوحيد، ولكن الجهاد في سبيل الله والشهادة في سبيل الله، والقتل في سبيل الله بيد الكفار في ميدان المعركة مقبلًا غير مدبر، هذه أعلى الدرجات، فقال: هلا متعتنا به يا رسول الله، فمات عامر عندما كان يقاتل واحدًا من اليهود فذهب ذؤابة سيفه فجاءت عليه فقتلته، فقال البعض حبط عمل عامر، فسمع أخوه سلمة بن الأكوع، تعرفون هذا سلمة بن أكوع وقصته هذا مع الكفار؟ هذا يقول عداءً كان أول عداء في الإسلام، كان سريعًا جدا حتى أرهق الكفار، حتى عندما أغاروا على إبل الصدقة، الكفار أغاروا على إبل الصدقة واستنجد بهم الراعي، فسمعه سلمة، وهم على أحصنة، انتبه لهذا، وأخذوا المتاع وغير ذلك، وسلمة وراءهم يجري يعدو، فلحقهم فرموا المتاع، ولحقهم فدخلوا في الجبال، لحقهم، طلع عليهم قالوا من؟ قال ابن الأكوع، قال أكوع بكرة، يعني أنت الذى كنت معنا من الصباح؟ قال: نعم، وأخذ منهم متاع المسلين الذى سلبوه ، هذا لم يستسلم أبدا، لذلك دائما يا إخواني المجاهد لا يستسلم، إما ينتصر أو يموت، فسلمة حزن قال يا رسول الله يقولون كذا، قال كذبوا، وهذه شهادة من النبي γ لعامر أنه في الجنة، إذن الحداء هذا يختلف عن الأناشيد ويختلف عن الغناء، وخلاصة الكلام عندما تقول لرجل وهو ابتلي بهذا تقول يا أخي دعك من كل هذه النصوص، ودعك من كل هذه الكلمات، وغير ذلك ولكن أسألك سؤالا واحدًا، إذا كنت في قبرك ماذا تحب أن يكون هو أنيسك في القبر؟ الغناء والموسيقى، أم القرآن كلام الله، ماذا تحب أن يكون معك في القبر؟ الغناء والموسيقى

أم كلام الله سبحانه وتعالى؟ قطعا سيقول كلام الله، يقال إذن احرص عليه من الآن، هذا بالنسبة لمسألة السماع.

لَيْسَ وُجُوهُ هَذِهِ الْآثَارِ كُلِّهَا مِنَ الذُّنُوبِ: أَنَّ رَاكِبَهَا يَكُونُ جَاهِلًا وَلَا كَافِرًا وَلَا مُنَافِقًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ، ومؤدٍ لِفَرَائِضِهِ، وَلَكِنْ مَعْنَاهَا أَنَّهَا تَتَبَيَّنُ مِنْ أَفْعَالِ الْكُفَّارِ مُحَرَّمَةٌ مَنْهِيٌّ عَنْهَا فِي الْكِتَابِ وَفِي السُّنَّةِ لِيَتَحَامَاهَا الْمُسْلِمُونَ وَيَتَجَنَّبُوهَا فَلَا يَتَشَبَّهُوا بِشَيْءٍ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَلَا شَرَائِعِهِمْ. وَلَقَدْ رُوِيَ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ: «إِنَّ السَّوَادَ خِضَابُ الْكُفَّارِ»، فَهَلْ يَكُونُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ يَكْفُرُ مِنْ أَجْلِ الْخِضَابِ؟! وَكَذَلِكَ حَدِيثُهُ: فِي المرأة إذا استعطرت ثم مرت بِقَوْمٍ يُوجد ريحُها «أَنَّهَا زَانِيَةٌ»، فَهَلْ يَكُونُ هَذَا عَلَى الزِّنَا الَّذِي تَجِبُ فِيهِ الْحُدُودُ؟

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: «الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ»، أَفَيُتَّهَمُ عليه أنه أراد الشيطانين الذين هُمْ أَوْلَادُ إِبْلِيسَ؟! إِنَّمَا هَذَا كُلُّهُ عَلَى ما أعلمتك من الأفعال والأخلاق والسنن. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَانَ فِيهِ ذِكْرُ كُفْرٍ أَوْ شِرْكٍ لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

الشيخ: أهل القبلة الذين هم معهم أصل الإيمان، ولكن تأتي ألفاظ الشرك والكفر مع أصل الإيمان فتكون هي على وجه التمام والكمال والتجويد.

فَهُوَ عِنْدَنَا عَلَى هَذَا، وَلَا يَجِبُ اسْمُ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ الَّذِي تَزُولُ بِهِ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ وَيُلْحَقُ صَاحِبُهُ بِردةٍ إلا بكلمة الْكُفْرِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ مُفَسَّرَةً.

الشيخ: هذا لا يعني يتمسك هذا بقوله بكلمة الكفر، ويقول نعم الكفر هنا لا يكون إلا بالكلمة، نقول لا، مر معك أن الكفر يكون بالكلام والاعتقاد والشك والترك وغير ذلك، لماذا تتمسك بهذا؟ لا، هذا كأنه يقول الكلام الظاهر هو الذي يثبت به الكفر، الكلام الظاهر والعمل الظاهر، فليس معنى هذا أن الكفر عنده بالكلام فقط، لا.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُشْبة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِسْلَامِ، الْكَفُّ عَنْ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا نُكفّره بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مِنْ يَوْمِ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار كلها». قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ، عَنِ الصَّلْتِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ - وَهُوَ فِي بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ - فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَا يَبْلُغُ بِعَبْدٍ كُفْرًا وَلَا شِرْكًا حَتَّى يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِهِ».

الشيخ: هذا فيه دليل على أن الذبح لغير الله أو الصلاة لغير الله هذا كفر.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: جَاوَرْتُ مَعَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِمَكَّةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ: هَلْ كُنْتُمْ تُسَمُّونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ كَافِرًا؟ فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! قَالَ: فَهَلْ تُسَمُّونَهُ مشركًا؟ قال: لا.

الشيخ: يعني هل كنتم تكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب دون الشرك؟ قال: معاذ الله.

بَابُ ذِكْرِ الذُّنُوبِ الَّتِي تَلْحَقُ بِالْكَبَائِرِ بِلَا خُرُوجٍ مِنَ الْإِيمَانِ:

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدِيثُ النَّبِيِّ γ: «لعنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «حُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ» وَمِنْهُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ: «شَارِبُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ اللات والعزى»

الشيخ: إذن كل هذه ذنوب وكبائر، ولكن لا تُخرِج من أصل الإيمان

وَمَا كَانَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِمَّا يُشَبَّهُ فِيهِ الذنبُ بِآخَرَ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَقَدْ كَانَ فِي النَّاسِ مَنْ يَحْمِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّسَاوِي بَيْنَهُمَا! وَلَا وَجهَ لِهَذَا عِنْدِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ الذُّنُوبَ بَعْضَهَا أَعْظَمَ مِنْ بَعْضٍ فَقَالَ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]

الشيخ: إذن هنا سمَّى اللهُ سبحانه وتعالى في هذه الآية كبائر وسيئات

فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَطُولُ ذكرها، وَلَكِنَّ وُجُوهَهَا عِنْدِي: أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَى عَنْ هَذِهِ كُلِّهَا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا عِنْدَهُ أَجَلَّ مِنْ بَعْضٍ، يَقُولُ: مَنْ أَتَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي فَقَدْ لَحِقَ بِأَهْلِ الْمَعَاصِي، كَمَا لَحِقَ بِهَا الْآخَرُونَ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، عَلَى قَدْرِ ذَنْبِهِ قَدْ لَزِمَهُ اسْمُ الْمَعْصِيَةِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَعْظَمَ جُرمًا مِنْ بَعْضٍ.

الشيخ: تقدم معنا أن الأسماء تتنزل على أوصاف

وَفَسَّرَ ذَلِكَ كُلَّهُ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ، حِينَ قال: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله»، ثم قرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، فَقَدْ تَبَيَّنَ لَنَا الشِّرْكُ وَالزُّورُ وَإِنَّمَا تَسَاوَيَا فِي النَّهْيِ؛ نَهَى اللَّهُ عَنْهُمَا مَعًا فِي مكانٍ واحدً، النَّهْيِ مُتساويان وَفِي الْأَوْزَارِ وَالْمَآثِمِ مُتَفَاوِتَانِ.

الشيخ: يعني متساويان كمعاصي، وقع في المعصية، ولكن يتفاوتان في العقوبة، ويتفاوتان كذلك في الجرم والمأثم.

وَمِنْ هُنَا وَجَدْنَا الْجَرَائِمَ كُلَّهَا أَلَا تَرَى السَّارِقَ يُقطع فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا وَإِنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ لَمْ يَلْزَمْهُ قَطْعٌ، فَقَدْ يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ: هَذَا سارقٌ كَهَذَا، فَيَجْمَعْهُمَا فِي الِاسْمِ، وَفِي رِكُوبِهِمَا الْمَعْصِيَةِ، وَيَفْتَرِقَانِ فِي الْعُقُوبَةِ عَلَى قَدْرِ الزِّيَادَةِ فِي الذَّنْبِ، وكذلك البكرُ والثيبُ.

الشيخ: هذا يقوله الإمام أبو عبيد كما قلنا في القرن الثاني، يفرق هنا بين الاسم وبين العقوبة، هذا سارق وهذا سارق، ولكن هذا سارق لا يقطع، وهذا سارق يقطع، ولكن يجمعهما جميعا الاسم بالوصف، فليس كل سارق يقتل أو يعاقب، ولكن هل كونه معناه لا يعاقب لا يسمى سارقا؟ يسمى سارقا، ولكن إذا ثبتت في حقه أدلة الثبوت الشرعية من القطع، من القرار والبينة والشهود وغير ذلك يقطع، وإن لم فلا، ولكن هذا لا ينفي عنه الاسم، فالإمام أبو عبيد هنا يقول أن الاسم لازم بالوصف، ولكن لا علاقة ولا تلازم بين الاسم والعقوبة، هذا الذي لم يفهمه كثير من أهل الإرجاء وأهل الغلو، قالوا أنتم تسمونه مشركًا، إذن لا بد أن تجروا عليه أحكام الكفر كاملة في الدنيا، من القتل،

واستحلال الدم والمال، نقول هذا ليس بلازم، هذا اسم لزمه بالوصف، أما العقوبة هذه عند الحاكم عند القاضي، هو الذي يجري الأحكام، هو الذي يفَصِّل فيها، يعاقب ولا يعاقب هذه ليست لك.

وكذلك البكرُ والثيبُ يذنبان فَيُقَالُ هُمَا لِلَّهِ عَاصِيَانِ مَعًا، وَأَحَدُهُمَا أَعْظَمُ ذَنْبًا وَأَجَلُّ عُقُوبَةً مِنَ الْآخَرِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»، إِنَّمَا اشْتَرَكَا فِي الْمَعْصِيَةِ حِينَ رَكِبَاهَا، ثُمَّ يَلْزَمُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «حُرمةُ مالِه كحُرمة دَمِهِ»، وَعَلَى هذا وما أشبه أيضا، قال أبو عُبيد: كتبنا هذا الكتاب على مبلغ علمنا، وما انتهى إلينا من الكتاب وآثار النبي ץ، والعلماء بعده، وما عليه لغات العرب ومذاهبها، وعلى الله التوكل، وهو المستعان.

الشيخ: وهذا الذي ينبغي لطالب العلم أو الداعية أو العالم، أنه يتكلم بما يعتقد، ويتكلم بعلم أو يسكت بحلم، هو قال تكلمت بهذا الكتاب مما بلغني من العلم، من الكتاب والسنة، وعلم الصحابة السلف، لأنه أعقب النبي بالصحابة، ثم هذا هو الذي ينبغي أن ينشر؛ لأن هذا هو العلم، قال الله قال الرسول قال الصحابة، ما عدا ذلك فلا، ولكنه انظر قال: وقبل هذا، إذن هذا الإمام الجليل لم يستقل بالفهم من عنده، بل دائما كان يرجع إلى من سبقوه من الصحابة والتابعين، حتى لا يستقل بالفهم في النصوص من نفسه، يخاف، يقول لا أنا آمن لا أضل، ولكن دائما هل قال بهذا القول؟ هل لي سلف في هذا؟ هل الصحابة فهموا هذا؟ هكذا ينبغي لطالب العلم.

قال أبو عبيد: ذكر الأصناف الخمسة الذين تركنا صفاتهم في صدر كتابنا هذا، من تكلم به في الإيمان.

الشيخ: هو كأنه استدرك بعد أن تم الكتاب استدرك وقال: نحن تكلمنا عن بعض فرق الخوارج ولم نفصل فيها، ولم نبينها، فالآن جاء دورها أننا نبين فيها فبدأ يذكر هذه الفرق.

«الجهمية»: وهم أتباع الجهم بن صفوان وقد تكلمنا عنه البارحة.

«والمعتزلة»: واصل بن عطاء الذي هو رأس الاعتزال.

«والإباضية»: أتباع عبد الله بن أباض، وهم فرقة من فرق الخوارج، وهم الآن في سلطنة عمان، لهم دولة ولهم مفتي ولهم أصول وغير ذلك، يقولون بالأصول الثلاثة عندهم ، يقولون بأن القرآن مخلوق ليس كلام الله، وأن الله لا يُرَى لا في الدنيا ولا في الأخرة، وأن صاحب الكبيرة مخلد في النار، هذه الإباضية الآن.

«والصفرية»: هؤلاء أصحاب زياد بن الأصفر، وكذلك هم من الخوارج كذلك.

«والفضلية»: هذه كذلك فرقة من الخوارج.

فقالت الجهمية: الإيمان معرفة الله بالقلب، وإن لم يكن معها شهادة لسان، ولا إقرار بنبوة، ولا شيء من أداء الفرائض! احتجوا في ذلك بإيمان الملائكة، فقالوا: قد كانوا مؤمنين قبل أن يخلق الله الرسل.

وقالت المعتزلة: الإيمان بالقلب واللسان مع اجتناب الكبائر، فمن قارف شيئًا كبيرًا زال عنه الإيمان.

الشيخ: يعني وقع في كبيرة زال عنه الإيمان.

ولم يلحق بالكفر، فسمي: فاسقا، ليس بمؤمن ولا كافر، إلا أن أحكام الإيمان جارية عليه!

الشيخ: هم الذين يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، لا في الجنة ولا في النار.

وقالت الإباضية: الإيمان جماع الطاعات، فمن ترك شيئا كان كافر نعمة، وليس بكافر شرك، واحتجوا بالآية التي في (إبراهيم): ﴿بَدَّلُوا نعمة اللهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٨٢].

وقالت الصفريه -مثل ذلك في الإيمان-: أنه جميع الطاعات، غير أنهم قالوا في المعاصي؛ صغارها وكبارها: كفر وشرك ما فيه إلا المغفور منها خاصة.

وقالت الفضلية -مثل ذلك في الإيمان، أنه أيضا-: جميع الطاعات، إلا أنهم جعلوا المعاصي كلها ما غفر منها وما لم يغفر كفرا وشركا، قالوا: لأن الله جل ثناؤه لو عذبهم عليها كان غير ظالم؛ لقوله: ﴿لا يَصْلاها إِلاَّ الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾» [الليل: ١٦].

وهذه الأصناف الثلاثة من فرق الخوارج معا، إلا أنهم اختلفوا في الإيمان.

الشيخ: لماذا اختلفوا؟ لأن هذا أصل الافتراق، دائما أهل البدع والأهواء والافتراق يفترقون عند الاختلاف، هذا عكس أهل السنة والجماعة.

وقد وافقت الشيعة فرقتين منهم، ووافقت الرافضة المعتزلة، ووافقت الزيدية الإباضية.

الشيخ: هذه الزيدية الآن مذهب يكاد يكون انقرض، وهو كان في اليمن، هذه خلاف اليزيدية عبدة الشيطان الذين هم في جبال لبنان، أما الشيعة لا يقال شيعة الآن، هم روافض، وهم كفار عند أهل السنة، وكفروا من أكثر من باب، ليس من باب أنهم يسبون الصحابة أو أنهم يتهمون جبريل عليه السلام أنه أخطأ في الرسالة، أو أنهم يؤلهون عليًا، أو أنهم يعبدون القبور، أو أنهم يقولون العصمة بالأئمة، لا، هذه أبواب كثيرة جدًا ذكرها العلماء في تكفيرهم، وهم الآن الأصل الجامع لهم هي بلاد إيران، هذه بلاد فارس.

الشيخ: وكل هذه الأصناف يكسر قولهم ما وصفنا به «باب الخروج من الإيمان بالذنوب»، إلا الجهمية، فإن الكاسر لقولهم قول أهل الملة، وتكذيب القرآن إياهم، حين قال: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٨]، فأخبر الله عنهم بالكفر إذ أنكروا بالألسنة، وقد كانت قلوبهم بها عارفة، ثم أخبر الله عن إبليس أنه كان من الكافرين، وهو عارف بالله بقلبه ولسانه أيضا، في أشياء كثيرة يطول ذكرها، كلها ترد قولهم أشد الرد، وتبطله أقبح الإبطال.

الشيخ: هذا قد انتهى الكتاب بتوفيق الله سبحانه وتعالى وحمده، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما سمعنا وأن يرزقنا علما نافعا وعملا صالحا، وأن يثبتنا وإياكم على الحق حتى نلقاه، هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.